الهوية الوطنية الفلسطينية بين سلب الاحتلال الأوروصهيوني والممانعة العربية

The Palestinian National Identity between Euro-Zionist Occupation Attempts to Erase it and Arabic Resistence

https://aif-doi.org/AJHSS/107303

إعداد

أ.م. د. محمد فاضل الفقيه [1]

و أ.م.د. ناجي علي الصناعي [2]

1) أستاذ مشكلات المجتمع المشارك.

2) أستاذ الفكر الإسلامي ومناهج البحث العلمي المشارك/ كلية العلوم التتطبيقية والتربوية/ النادرة جامعة إب.

ملخص البحث:

يهدف البحث الحالي إلى بيان مقومات وعناصرها الحيوية، وكذلك بيان خطورة التأثيرات الاستعمارية على مقومات الهوية العربية الفلسطينية الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية والقيمة الأخلاقية ماضياً وحاضراً، ولتحقيق ذلك فقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي.

ويرصد هذا البحث تأثير الاحتلال الأوروبي الصهيوني في مقومات الهوية الفلسطينية الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، من خلال الوقوف على المواقف والأحداث المتعلقة بالأنشطة الأوروبية المباشرة وغير المباشرة في فلسطين، والأنشطة الصهيونية الهادفة إلى طمس الهوية الفلسطينية وتهويد فلسطين أرضاً وإنساناً خدمةً للمشروع الصهيوني العالمي، وبيان الدور العربي الفلسطيني في التصدي لذلك المشروع والحفاظ على الهوية الفلسطينية وتنمية عوامل وجودها واستمرارها.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج كما يلي:

- **الهوية الوطنية الفلسطينية تشكلت وفق ثلاثة مكونات متنامية هي الوطني والفلسطيني والعربي والإسلامي فهي حاضرة في النسيج الاجتماعي والثقافي الفلسطيني وتعمل عملها وتتجلى بشتى الصور، فمن يتصور أنه قادراً على بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية بمعزل عن المكون الآخر فإن سعيه حتما سيكون محكوماً بالفشل مقدماً.**
- **يقع على الدراسات النظرية والميدانية الفلسطينية والعربية إعادة تقديم الهوية الوطنية الفلسطينية وفق فضاء ثلاثي الأبعاد، الأول الوطني الذي يتصور الهوية الوطنية الفلسطينية ككل متكامل في جانبه الجغرافي والسياسي والاجتماعي، ولا يفصل بين المواطن الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 48 19م، ولا في الضفة ولا في قطاع غزة، ولا المواطنين الذين هجروا قسراً نتيجة الاحتلال الصهيوني، الذين تسميهم بعض الدراسات الشتات على سبيل المماثلة مع اليهود، فالمماثلة منعدمة وتصب في مصلحة الاحتلال**

ISSN : 2410-1818

الصهيوني، ويجزئ الهوية الفلسطينية أكثر مما هي مجزأة. أما البعد الثاني وهو المنبثق من البعد الأول والمتمثل بالبعد العربي و هو الانتماء، الحضاري القومي العربي وما يخص البعد الثالث فالمقصود به أن فلسطين العربية هي ملتقى الأديان المسيحي والإسلامي لذا فإن هذه الأديان هي إحدى مكونات الهوية الفلسطينية بل هي ضامنة لبقائها واستمرار نموها فمقاومة الاحتلال لم ترتبط بدين واحد بل من جميع أبناء الديانتين بصيغة عربية كهوية جامعة وإن ظهرت أخيراً أشكال مقاومة تحمل صبغة دينية فهذا موضوع طارئ ومن مهام أبحاث أخرى لا يتسع المقام هنا لذكرها وعليه أن تغيب أي بعد من هذه الأبعاد يعتبر خطراً حقيقياً على الهوية العربية الفلسطينية.

- تراجع الفضاء العربي والإسلامي في دعم الهوية الفلسطينية على حساب تزايد فرص الكيان الصهيوني التطبيعية مع العديد من الأنظمة العربية في ظل الأزمات المتلاحقة للأنظمة العربية ذات التوجه الوطني العربي القومي.
- لن يتوقف الكيان الصهيوني عن سلب مقومات الهوية الوطنية الفلسطينية وتهويد فلسطين ما لم يجد مقاومة فلسطينية شاملة.
- أظهرت الدراسة أن التعدد الثقافي في مكونات الهوية الوطنية الفلسطينية لعب دوراً بارزاً في ثباتها والحفاظ عليها.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، الانتداب البريطاني، الاحتلال الصهيوني، المشروع الوطني الفلسطيني، المقاومة الفلسطينية، الهوية الوطنية الفلسطينية.

Abstract:

The current research aims to explain the vital components and elements of the Palesttinian, as well as the seriousness of the colonial influences on the elements of the Arab-Palestinian identity, geographical, historical, social, cultural, and moral values, past and present. To achieve this, the researchers used the descriptive analytical methodology and the histotrical methodology.

This study aims to figure out the impact of the Zionist European occupation on the elements of the Palestinian geographical, historical, political, economic, cultural and civilizational identity. This is to be highlighted by examining the events related to the direct and indirect European activities in Palestine. The study also aims to figure out the Zionist activities aimed at obliterating the Palestinian identity and Judaizing the land of Palestine and making it the home of Jews as per the global Zionist project. It also aims to highlight the Palestinian and Arab role in confronting and resisting that project, preserving the Palestinian identity, and developing the factors of sustaining its existence and continuity.

The research came up with the following results:

-The Palestinian national identity was formed according to three growing components of identity: the national, the Palestinian, the Arab and the Islamic. Whoever thinks that he is able to shape the Palestinian national identity in isolation from the other components, his

ISSN : 2410-1818

efforts will inevitably be doomed to failure inadvance.

-It falls on Palestinian and Arab theoretical and field studies to redefine the Palestinian national identity according to a three-dimensional space. The first dimensional is the one that dedicates the national Palestinian identity as one whole unit socially, geographically and politically in a way that ensures the inseparability of Palestinian people in 1948 occupied lands and Gaza Strip, or the citizens who were forcibly displaced as a result of the Zionist occupation, whom some studies call diaspora, as an analogy with the Jews. This analogy should not be there as it enforces the occupational goals of the Zionists. This ultimately leads to further fragmentation of the Palestinian identity.

-The decline of the Arab and Islamic efforts in supporting the Palestinian identity at the expense of the increasing opportunities of the Zionist Entity for normalization with many Arab regimes in light of the successive crises of the Arab regimes that had witnessed drastic decline of Arab Nationalism.

-The Zionist entity will not stop robbing the elements of the Palestinian national identity and Judaizing Palestine unless it finds a never-stopping Palestinian resistance.

-The study showed that cultural pluralism in the components of the Palestinian national identity played a prominent role in its stability and preservation.

Keywords: Palestine, British Mandate, Zionist occupation, the Palestinian National Project, the Palestinian Resistance, the Palestinian National Identity.

مقدمة

تمثل الهوية عنصراً أساسياً في بناء وحدة الأمم واستقرارها وتطورها ، وتسعى كل أمة لتشكيل هوية جماعية مشتركة تعكس تطلعاتها وثقافة مجتمعها ، وتعبر عن تاريخها الاجتماعي والسياسي وعن آمالها وطموحاتها وأهدافه المستقبلية ، وتميز شخصيتها كأمة ذات سيادة عن باقي الأمم الأخرى، وتعمل على اندماج أفرادها ضمن تلك الهوية للمحافظة على تماسك الأمة وضمان استقرارها واستمرارها.

وقد تتعرض الهوية الجماعية للشعوب والأمم للعديد من التهديدات والمخاطر التي تحاول سلبها مقومات بقائها واستمرارها وتطورها المستقبلي, إما بعوامل داخلية كتصدع الأبنية والأنساق الثقافية والاجتماعية نتيجة انحلال وتفسخ المجتمع, أو بعامل خارجي يتمثل بالاحتلال للبلد الضعيف من قبل بلد آخر قوي, وهدم مقومات هويته الجماعية كما هو حال فلسطين إبان الاحتلال البريطاني, في الربع الأول من القرن المنصرم, ومن ثم الاحتلال الصهيوني الكونيالي منتصف القرن الماضي متوجاً بقيام الكيان الصهيوني عام 1948م , بعد إجلاء وتشريد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه فلسطين .

ISSN : 2410-1818

وعلى هذا الأساس كانت وما زالت الهوية الوطنية الفلسطينية أكثر الهويات تنكيلاً في التاريخ الإنساني , كافحت وتكافح اليوم من أجل الحفاظ على مقوماتها وعوامل استمرارها وبقائها في وجه المخاطر الخارجية ممثلة بالاحتلال الاستيطاني الصهيوني الهادف إلى اقتلاع فلسطين وانتزاعها من ملاكها الأصليين وتشريدهم في بقاع الأرض, وطمس هويتهم الفلسطينية وتهويد فلسطين أرضاً وإنساناً , بمساندة الموقف الأمريكي والدولي الداعم للاستيطان والمعبر عنه أخيراً باعتراف إدارة ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل وقرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في نوفمبر 2017م.

ومن هنا كانت هذه الدراسة محاولة متواضعة للدفاع عن الهوية الفلسطينية في وجه الاحتلال الاستيطاني الصهيوني المدعوم أمريكياً ودولياً ، ونقطة مضيئة في طريق التصدي للمشروع الصهيوني في العالمين العربي والإسلامي وفضح أساليبه وممارساته وأجندته الفلسطينية في الماضي والحاضر، وتقديم بعض الرؤى والآليات العملية لمواجهته لوقف أنشطته الاستيطانية التوسعية على حساب الحقوق التاريخية للشعب العربي الفلسطيني.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

يتمحور موضوع الدراسة حول الهوية الفلسطينية وتأثير الاحتلال الأوروبي الصهيوني في مقوماتها والتحديات الداخلية والمخاطر الخارجية التي تهدد الهوية العربية الفلسطينية، منطلقين من التساؤلات الآتية:

1- ما الهوية الوطنية الفلسطينية؟ وما مقوماتها؟

2- كيف سلب الاحتلال البريطاني فلسطين ومنحها لليهود؟

3- ما مظاهر تأثير الاحتلالين الأوروبي والصهيوني في مقومات الهوية الفلسطينية جغرافياً وتاريخياً وثقافياً وسياسياً؟

4-ما التحديات الداخلية والمخاطر الخارجية التي تهدد الهوية الوطنية الفلسطينية؟

5- ما وسائل وأساليب الدفاع عن الهوية العربية الفلسطينية، فلسطينياً وعربياً وإسلامياً؟

أهداف الدراسة

1- بيان مقومات الهوية الفلسطينية وعناصرها الحيوية، وتنمية مكامن القوة فيها، وتجاوز مكامن الضعف والانقسام للحفاظ على الهوية العربية الفلسطينية الجامعة، وتحقيق وحدة الصف العربي الفلسطيني.

2- بيان خطورة التأثيرات الاستعمارية على مقومات الهوية العربية الفلسطينية الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية والقيمة الأخلاقية ماضياً وحاضراً.

3- الحفاظ على الهوية العربية الفلسطينية بوحدة الأرض والإنسان الفلسطيني في مواجهة التهويد الإسرائيلي لفلسطين أرضاً وإنساناً

ISSN : 2410-1818

4- بيان الوسائل والأساليب الناجعة في التصدي للتأثيرات الصهيونية على مقومات الهوية العربية الفلسطينية، وفي مقدمتها توحيد الصف الفلسطيني وإنهاء حالة الانقسام بين مكونات العمل الفلسطيني، وتكوين هوية مقاومة للاحتلال الصهيوني المدعوم غربياً وأمريكياً، وتبين زيف الادعاءات والروايات التوراتية الغربية الصهيونية حول أحقية اليهود في فلسطين.

5- تنمي عوامل الألفة والتماسك بين أبناء الشعب الفلسطيني، وتنبذ الخلاف والشقاق والانقسام بين المكونات السياسية المعبرة عن الهوية السياسية الفلسطينية، وتوحد الصف الفلسطيني على طريق توحيد الصف العربي والإسلامي لمواجهة المشروع الصهيوني في العالمين العربي والإسلامي والإنساني قاطبة.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من أهمية موضوعها الحي موضوع الهوية الفلسطينية، وفلسطين الماضي والحاضر والمستقبل، قضية العرب والمسلمين الأولى، وتهم مختلف الشرائح والنخب السياسية والفكرية والثقافية والأكاديمية، والشعبية، ويمكن تلخيص أهمية الدراسة في الآتي:

1- تميط اللثام عن وسائل وأساليب الاحتلالين البريطاني والصهيوني في التأثير على مقومات الهوية الفلسطينية ومحاولة طمسها في الماضي والحاضر والمستقبل.

2- تزود المختصين من الأكاديميين والساسة ورجال الفكر والمهتمين بالشأن الفلسطيني بجملة من الحقائق والمعلومات التي تمثل قاعدة معلوماتية يمكن الانطلاق منها والاستفادة منها في التعامل مع الآخر الأوروبي والصهيوني.

3- تحصن وعي القارئ العربي والمسلم عامة، والفلسطيني خاصة بمختلف فئاته وشرائحه من الوقوع في براثن التضليل الإعلامي الغربي والصهيوني الهادف إلى قلب الحقائق التاريخية عن فلسطين، وعن الدور الغربي والأمريكي ماضياً وحاضراً في تبني ودعم المشروع الصهيوني في العالمين العربي والإسلامي، فلا ينساق وراء المفاهيم المضللة كمفهوم التطبيع مع الكيان الصهيوني، والرعاية الأوروبية والأمريكية للسلام في الشرق الوسط وغيرها من المفاهيم الصهيونية.

4. تزويد صناع القرار السياسي ودوائر الفكر والثقافة والمهتمين بالشأن الفلسطيني بخارطة طريق معلوماتية عما ينبغي عمله تجاه الحفاظ على مقومات الهوية الفلسطينية والحفاظ عليها ومواجهة المشروع الصهيوني ثقافياً وحضارياً وإنسانياً، في مختلف المحطات المحلية والإقليمية والدولية والعالمية.

الدراسات السابقة

1- دراسة رشيد الخالدي، الهوية الفلسطينية وبناء الوعي الذاتي، ترجمة موسى البديري، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد (21)، المجلد (6)، شتاء 1995م، ناقشت الهوية الفلسطينية من المنظور السياسي وفقاً لنظرية بندكيت اندرسن التي تعتبر الهوية شيء متخيل يعبر عن مقدرة المجتمع على

ISSN : 2410-1818

توليف عناصر متخيلة تكون محور هويته وهذه العناصر يعبر عنها باللغة والسيادة والحدود السياسية، وهذا يجعل الهوية نتاج سياسي داخلي يكاد يكون مفقود في الحالة الفلسطينية.

2- دراسة كايد عزت شريم، الهوية الوطنية الفلسطينية: جدل الواقع ومأزق الخطاب مقاربة نقدية تحليلية، منشورة على الشبكة، وقد تطرقت للجانب المعرفي الداخلي وحللته ونقدته أكثر من وقوفها على العوامل الخارجية التي أسهمت في تدمير الهوية الوطنية الفلسطينية وتأخر بلورتها كهوية أثبتت وجودها عبر التاريخ في مواجهة عدو خارجي، يهدد وجودها هو الاحتلال الأوروبي والصهيوني، وهو ما تحاول هذه الدراسة بيانه من خلال تفنيد أساليبه ووسائله الرامية إلى طمس الهوية الوطنية الفلسطينية.

3- دراسة فؤاد المغربي، وآخرون، التجمعات الفلسطينية المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات)، رام الله فلسطين, 2013م.

4- دراسة أشرف صقر أبو ندا، الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم، مجلة المستقبل العربي، العدد (423)، مركز دراسات الوحدة العربية، مايو 2014م، ركزت على الهوية الفلسطينية كمعطى سياسي خارجي تكون عن طريق الاحتلال الصهيوني لفلسطين وأغفلت دور المقومات التاريخية والجغرافية والثقافية في تكوين الهوية الفلسطينية.

5- دراسات أحمد جميل وآخرون، قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة, 2015م.

6- دراسات بيري كاماك وآخرون، تجديد الهوية الفلسطينية الخيارات مقابل الواقع، مؤسسة كارنجي للسلام الدولي، بيروت, 2017م.

7. أباهر السقاء، وآخرون، الشباب الفلسطيني دراسات عن الهوية والمكان والمشاركة المجتمعية، جامعة بيرزيت، ومركز دراسات التنمية، بالتعاون مع جمعية الأصدقاء الأمريكية (الكويرز) فلسطين 2017م.

جميع هذه الدراسات ركزت على الجانب الداخلي للهوية الوطنية الفلسطينية، واعتبرت أن الجانب الخارجي المتمثل بالاحتلالين البريطاني والصهيوني لفلسطين عامل حاسم في بناء الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال ربطها بين الاحتلالين ونشؤ الهوية الوطنية الفلسطينية، وهو الأمر الذي تحاول هذه الدراسة إثبات بطلانه من الناحية المعرفية والعملية.

منهجية الدراسة وتقسيماتها

ستعمل هذه الدراسة على المستوى المنهجي على وصف آثار الاحتلالين الأوروبي والصهيوني على الهوية الوطنية الفلسطينية، من خلال وصف وتحليل الأحداث والوقائع والسياسات والإجراءات التي اعتمدها الاحتلالان البريطاني والصهيوني والتي لا زالت تشكل تحدياً مستمراً للهوية الوطنية الفلسطينية حتى اليوم. ولتحقيق أهداف البحث فقد استخدم الباحثان المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج التاريخي.

ISSN : 2410-1818

وفي سياق عرضنا للتأثيرات على الهوية الفلسطينية قسمنا الدراسة إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: المحددات المفاهيمية للهوية الوطنية الفلسطينية

1- مفهوم الهوية

2- فلسطين التاريخية

3- فلسطين في الوعي الأوروبي

4- فلسطين التوراتية

5- فلسطين الانتدابية والدولية

المحور الثاني: السلب الأوروصهيوني للهوية الوطنية الفلسطينية

1- السلب الجغرافي والديمغرافي

2- السلب السياسي

3- السلب الثقافي

4- السلب الاقتصادي

المحور الثالث: الممانعة وتحدياتها

1- الممانعة الوطنية الفلسطينية

2- الممانعة العربية والإسلامية

3- الممانعة الدولية

4- الممانعة الإنسانية

المحور الأول: المحددات المفاهيمية للهوية الوطنية الفلسطينية

1/1: مفهوم الهوية

لا تخرج الهوية في اللغة والقواميس عن معنيين اثنين، أحدهما : مجموعة الصفات التي تميز شيء ما عن غيره من الأشياء أو بطاقة الهوية الشخصية ([1]). والمعنى الثاني: حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية , أو باطن الشيء الدال على حقيقته واتجاهاته ([2]). يقول الجرجاني : الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة"([3]).

[1] . المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة , 1972م، مادة (الهوية) , 998/2.

[2] . المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ص872.

[3] . الجرجاني: محمد بن علي، التعريفات،

ISSN : 2410-1818

وفي الاصطلاح الهوية هي مجموعة الخصائص والسمات التي تميز فرد عن غيره من الأفراد و أمة عن غيرها من الأمم[4]، وتدل على الخصائص الثقافية المشتركة بين أفراد مجموعة معينة على هوية تعرف بها خلال تفاعلات الحياة اليومية بين هؤلاء الأفراد[5]؛ أي شعور مجموعة من الناس بانتمائهم إلى الأرض التي يعيشون عليها ويحققون أمالهم وطموحاتهم فيها.

وعلى هذا الأساس يمكننا تحديد الهوية الفلسطينية بكونها ذلك النسق من الأحكام والتصورات والمعايير التي يعرف الشعب العربي الفلسطيني نفسه بواسطتها، وتميزه عن غيره من الشعوب، وقد تكونت وفق وعي جماعي وذاكرة جمعية عبرت عن تفاعل الإنسان الفلسطيني مع مقومات بقائه في ظروف استثنائية عبر التاريخ. فالهوية تعني ذات الشيء أو الشخص، وتعني حقيقته، وخصائصه المميزة له، وكذلك الذات، وتمتاز الهوية بخاصية الثبات وعدم التغير، وإلا كانت عرضاً حقيقة، وتتمثل أهمية الهوية في كونها تمثل المقومات التي لا يقوم الشيء إلا بها، وخاصته التي لا يعرف إلا بوجودها، ولذا كان تغيير الهوية أو تغييرها قضية تتسم بسمتين أساسيتين هما: الخطورة والصعوبة، فليس أخطر على شخص أو أمة من العبث بحقيقتها وتبديل هويتها والنحت في مقوماتها، أما الصعوبة فليس ميسوراً أن نغير أو ننحت شخص آملين تغيير حقيقته وخصائصه بيسر وطواعية.

وتتميز الهوية الفلسطينية عن غيرها من الهويات الأخرى بأنها هوية صراعية أثبتت وجودها كان موجود في مقابل الآخر الاستعماري المتوحش الذي يدنس الأرض الفلسطينية، وقد تنامي هذا الوعي من خلال مخزون هائل من المعاني والدلالات السلبية الملتبسة التي كونتها كتابات المؤرخين والجغرافيين والفقهاء الغربيين ورجال الكنيسة عن الأرض العربية الفلسطينية، وهي الحقبة التي أسهمت باحتلال الأرض الفلسطينية وعموم الشام.

1/2فلسطين: هي الأرض الواقعة غربي أسيا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ويطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وأقدم اسم معروف لهذه الأرض هو أرض كنعان. والكنعانيون هم من الأقوام اليمنية السبئية التي هاجرت إلى الشام في الألف الثالث قبل الميلاد وأصبحوا قوة متميزة سياسياً واقتصادياً ([6])، من البحر إلى النهر، وإن شئت تحديداً أدق فهي الواقعة بين خطي عرض 2930 و 3315 وخطي طول 3415 و 3540 يحدها من الشمال لبنان (على امتداد 79كم)، وفي الشمال الشرقي سوريا (بحدود طولها 70كم)، ومن الشرق الأردن (360كم)، ومن الجنوب مصر

4- الحدود المزدوجة: صراع الهويات من منظور سياسي، عبد اللطيف المتدين، المستقبل العربي، العدد (454)، ديسمبر 2016م، ص12.

5 . المرجع نفسه.

6 . محسن محمد صالح، فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة , 2003م، ص18,

ISSN : 2410-1818

(240كم)، والبحر الأبيض المتوسط غرباً (224كم)، وبهذا غدت فلسطين تشغل (27009كم^2)، بما في ذلك المسطحات المائية([7]).

وقد سميت فيما مضى سوريا الجنوبية للدلالة الجغرافية على الأرض التي يسكنها الفلسطينيون.

وهذا الموقع جعلها حلقة وصل بين قارات العالم القديم الثلاث أسيا وأوروبا وأفريقيا, ونقطة التقاء جناحي العالم العربي والإسلامي شرقاً وغرباً بشقيه الأسيوي والأفريقي، وبالمقابل تتوسط طرق التجارة البرية بين هذه القارات الثلاث، مما جعلها مطمعاً للغزاة والمستعمرين قديماً وحديثاً، فقد كان الغزو الأشوري سنة (722 ق.م)، ثم جاء من بعده الغزو البابلي بقيادة نبوخذ نصر سنة (586 ق.م)، ومن بعده جاء الاحتلال الروماني سنة (70م) وعندما دخلت فلسطين في العهد الإسلامي عُدت جزءاً من بلاد الشام حيث قسمت بلاد الشام إلى أربعة أجناد هي: جند حمص، وجند دمشق، وجند الأردن، وجند فلسطين، ويمتد من رفح إلى الجولان وعاصمته مدينة اللد ، وفي عهد المماليك (1250-1517م) قسمت بلاد الشام إدارياً إلى ثلاث نيابات هي: نيابة صفد ، ونيابة القدس، ونيابة غزة([8]).

وحين انتقل حكم فلسطين وبلاد الشام من المماليك إلى العثمانيين سنة 299هـ / 1516م بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق على يد السلطان سليم الأول، الذي لقب حينها ببطل القدس، عمل على إعادة تقسيم بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي: ولاية حلب وتضم سنجق القدس , ونابلس , وغزة , وتدمر , وصيدا , وبيروت, وولاية حلب , وتضم سوريا وإقليمها الشمالي, ولاية طرابلس وتضم حمص وحماة وسليمة وفي سنة 1862م أعاد السلطان عبد العزيز تقسيم أراضي الشام إلى أقضية وسناجق جديدة, وبموجب التقسيم الجديد قسمت فلسطين إلى ثلاثة سناجق هي: سنجق عكا ويشمل حيفاء , والناصرة وطبرية وصفد, وسنجق نابلس ويشمل: جنين , وطولكرم , ويتبعان ولاية بيروت وسنجق القدس ويشمل: القدس , ويافا , وغزة , وبئر السبع , والحُفير , وقد وضع هذا السنجق تحت الإدارة المباشرة للسلطان العثماني لطبيعته الدينية([9]).

وفي العصر الحديث عصر الاستعمار الأوروبي الذي بدأ مع الاحتلال الفرنسي لمصر سنة 1797م , بقيادة نابليون بونابرت الذي توجه إلى فلسطين لاحتلالها في 1798/7/21م ووصل إلى غزة ويافا والعريش, ولم يتمكن بونابرت من الوصول إلى القدس فقد كانت في حسبانه وطلب من الحامية

[7] . عبد القادر ياسين، موجز تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي عشر، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة , 2010م ص24. لم يتحدد موقع فلسطين بدقة إلاّ في أيام الاحتلال البريطاني (1920.1923م).

[8] . محمد يونس هاشم، الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والأديان السماوية، دار الكتاب العربي، دمشق , 2010م، ص141.

[9] . ينظر: فاروق فوزي: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، دار الشروق، عمان , 1999م، ص244.

ISSN : 2410-1818

العثمانية تسليمها , فأجابته بأن مدينة القدس تابعة لعكا فمتى ما احتلها استلمها, حيث كان بونابرت من أنصار فكرة الوطن القومي لليهود , وأول قائد أوروبي يعد اليهود بتوطينهم في فلسطين([10]).

ولم تُعرف فلسطين بحدودها الجغرافية الحالية إلاّ عام 1923م بعد الاحتلال البريطاني لها, فبموجب الاتفاق الفرنسي البريطاني المبرم بينهما في 23 ديسمبر 1923م على تقاسم أراضي الشام والعراق، بعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة تركيا , وإلاّ فقد كان العرب يطلقون عادةً على فلسطين اسم سوريا الجنوبية , وذلك باعتبارها جزءاً من سوريا, ففي عهد الحكومة العربية السورية في دمشق، رغم الاحتلال البريطاني كانت فلسطين من 1918-1920م ممثلة في المؤتمر العربي السوري الأول الذي أعلن استقلال سوريا في مارس 1920م لم يغب هذا الاسم عن فلسطين, إلاّ بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا الذي أسقط الحكم العربي فيها عام 1920م ([11]).

وتطلق بعض الدراسات المعاصرة على مسمى فلسطين, فلسطين التاريخية في مقابلة مع مسمى فلسطين الانتدابية البريطانية, وليدل على فلسطين ما بعد الاحتلال الصهيوني الذي مزق ترابها واستحوذ على 75% من أراضي فلسطين كمطلب لاستعادة ما فقده الفلسطينيون من أراضٍ جراء الاحتلال الأورصهيوني وصولاً إلى مشروع حل الدولتين الذي تروج له الدوائر الغربية السياسية كحل للصراع العربي الإسرائيلي([12]).

وقد تعلمنا من سياق التعامل مع الغرب الاحتلالي أنه سباق لترويج المفاهيم والمصطلحات والمسميات التي يقف ورائها مشروع استعماري واحتلالي، فما من مفهوم يروج له في الفضاء العربي والعالمي إلاّ ويسقط بعده بلدٌ في أحضان الاحتلال الغربي.

1/3: فلسطين في الوعي الأوروبي

لم يكن للأوربيين أي علاقة بفلسطين قبل أن يعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية في القرن الأول الميلادي فقد زارت أمه (هيلينا) القدس من أجل البحث عن رفات السيد المسيح, والحصول على كافة متعلقاته, وعثرت على خشبة الصلب وأنشأت موضعها كنيسة القيامة, ومنذ ذلك الحين صار هذا الموضع حجاً تقليدياً قائماً لدى المسيحيين على الرغم من أن العهد الجديد لم يشر إلى الحج إلى القدس أو فلسطين لا من قريب ولا من بعيد وبعد ذلك توالت رحلات الأوروبيين إلى فلسطين بغية اكتشاف ذلك البلد, وتقديم الصورة الواضحة عنه للكنيسة الأوروبية تهميداً لاحتلاله المباشر فيما بعد مع الحملات الصليبية بقيادة البابا أوربان الثاني رئيس دير كليرمونت بفرنسا تحقيقا للأهداف والدوافع

---

[10] . فيصل الخير، موجز تاريخ فلسطين..، ص590.594. -

[11] . محسن صالح، فلسطين، ص47.

[12] . أباهر السقا وآخرون، الشباب الفلسطيني دراسة عن الهوية والمكان، مركز دراسات التنمية جامعة بير زيت، بالتعاون مع هيئة خدمات الأصدقاء الأمريكية(الكويرز)، ببر زيت، فلسطين, 2017م، ص62.

ISSN : 2410-1818

الاقتصادية والسياسية للكنيسة الأوروبية تحت ذريعة زيارة الأماكن المقدسة المرتبطة بسيرة السيد المسيح, حيث أن الأوربيين كانوا يأتون إلى فلسطين فيعودون محملين بالمقتنيات الثمينة من التجارة الشرقية([13]).

وكانت الكنيسة الأوربية منذ القرن الأول إلى القرن الثامن الميلادي تقنع الأوروبيين على أن رحلاتهم إلى بيت المقدس هي تكفير عن ذنوبهم بحق الرب، وشجعت على إنشاء الأديرة في القدس وغيرها من مدن فلسطين، تماما كما كان الأوربيون يروجون للكشوفات الجغرافية باعتبارها نوعاً من التطهر خصوصاً مع نشوء البروتستانت.

لعبت الرحلات الأوروبية إلى فلسطين دوراً هاماً في سلب الأماكن والمدن الفلسطينية هويتها التاريخية العربية من خلال تغيير أسمائها العربية واستبدالها بأسماء عبرية، فقد أطلقوا على قلعة هيرود قلعة داوود, وبوابة الخليل بوابة يافا, والمسجد المرواني إسطبلات سليمان, وقرية كنا قرية روما, وكنيسة الضريح المقدس كنيسة الشهيد, وكنيسة القديسة مريم كنيسة بارفا, ونشروا الأديرة في مناطق فلسطين الأخرى الخليل, ويافا, ونابلس, وعكا, وصور, وإنطاكية, وقلقيليا([14]).

وفي أيام احتلال الصليبيين لفلسطين حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة أسموها معبد السيد المسيح, وأطلقوا على المسجد الأقصى معبد سليمان وقسموه إلى ثلاثة أقسام الأول كنيسة والثاني مسكنا للداوودية (العسكر), والثالث مستودعاً لذخائرهم ومستلزماتهم الحربية, وسعى الصليبيون إلى توسيع بيت المقدس لتشمل دمشق شمالاً وما وراء النيل جنوباً, وتوسيعها أكبر قدر ممكن بالقدر الذي يمكنها من احتلال أكبر قدر من أراضي المسلمين([15]).

ومع تنامي حركة التجارة بين الشرق والغرب وجد الأوروبيون من فلسطين طريقا تجاريا يعوضهم عن طريق آسيا الوسطى الطويل فما كان منهم إلاّ أن يمهدوا لاحتلال هذا البلد مستخدمين شتى الوسائل منها:

1- زيادة عدد الكنائس في فلسطين عامة والقدس خاصة لتصبح حجاً سنوياً للنصارى الأوربيين يأتونها بذريعة زيارة هذه الكنائس واعتبارها أماكن مقدسة.

2- تشجيع الرحلات التجارية الاقتصادية الأوربية ومدها بالمال والمؤن اللازمة لتلك الرحلات

3- تشجيع الرحلات الاستكشافية الأثرية والتنقيب التلفيقي بغية تغيير تاريخ فلسطين وهويتها العربية الإسلامية وإضفاء الطابع اليهودي والمسيحي وعلى أماكنها ومدنها العربية وعلاماتها واستبدال أسمائها العربية بالأسماء العبرية والرومانية.

---

[13] . محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس(1090.1187م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997م، ص16.17.

[14] . المرجع نفسه، ص80.

[15] . المرجع نفسه، ص126.

ISSN : 2410-1818

ولتحقيق هذه الغايات الاحتلالية كان على مؤسسات رسم القرار في أوروبا المسيحية في القرون الوسطى وعصر النهضة وصولاً إلى أوروبا الاستعمارية في القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، أن تعيد إنتاج فلسطين تاريخياً وجغرافياً وسياسياً اعتماداً على مروية التوراة المحرفة، تمهيداً لطمس هويتها الوطنية العربية والإسلامية وسلبها من ملاكها الحقيقيين ([16]). مبتدعين في ذلك جملة من المسميات للأرض الفلسطينية على خلاف الواقع الجغرافي والتاريخي لفلسطين، وسنتطرق لها في المحور القادم.

1/4: فلسطين التوراتية

لعبت الرؤية اللاهوتية الغربية في مطلع العصور الحديثة دوراً بارزاً في التطلع الغربي لاستعمار فلسطين، فأصبحت هي ذاتها الرؤية الموجهة سياسياً وعسكرياً وثقافياً وجغرافياً لاحتلال فلسطين؛ وفق مشروعين الأول: نقل اليهود الأوربيين من أوروبا وإسكانهم في فلسطين. والثاني طمس الهوية الفلسطينية من خلال إقامة المتاحف كالمتحف الذي أقيم في القلعة المملوكية بالقدس، والذي أطلق عليه المستعمرين قلعة داوود وهي في الأصل قلعة بناها المماليك فوق مبنى صليبي في القرون الوسطى بعد تحرير القدس، وقد أطلقت عليها السلطات الصهيونية اسم قلعة داوود، ويطلق عليها بعض الباحثين اسم (قلعة هيرودوت)وفيها وضعت أشياء أثرية غير أصلية تحاكي آثاراً لا وجود لها في النص التوراتي، والآثار الباقية في هذا المتحف هي أثاراً إسلامية تتمثل بالكتابات العربية ومحاريبهما جزءاً من المبنى، ويتم عرض صور متخيلة مما يسمى المعبد الثاني، وأحلام عن تاريخ القدس، تهدف إلى تحويل المكان من صيغته لعربية الإسلامية على مشهد جديد لفقه الصهاينة وزوروا خلاله قطعاً أثرية لحقب وحضارات متخيلة بهدف طمس الهوية العربية لفلسطين، وقد أشار الباحث الصهيوني يوفال جورين إلى ظاهرة التلفيق منذ وقت قريب وسرد نصوصاً وملفاً بالتلفيق والملفقين في مقال تحت عنوان " لوثة ظاهرة أورشليم المرضية" حلل خلالها اللوثة المرضية لكل من يزور فلسطين أو القدس أو يعيش بها فيتحول إلى إنسان يتصرف تصرفات شاذة وتنتابه هلوسات توراتية وينتقد ربط علم الآثار التوراتي بالفكرة القائمة على محو المكان الفلسطيني بماضيه وحاضره سكانه وعمائره وجغرافيته وتاريخه، وإحلال مكان وهمي مصدره الروايات التوراتية اللاهوتية المملة، ويعمل في هذه التلفيقات شبكة من ملفقي القطع الأثرية، ونصوص وناشرون، وصحافيون وخبراء لغات وعلماء تاريخ مهمتهم الترويج لهذه التلفيقات الأثرية في المتاحف بالقول أنها قطع لا سبيل إلى الشك في أصالتها([17]). ومنذ القرن التاسع عشر سعت قوى الاحتلال

[16] ـ ينظر: بيير موروا، الرحلة إلى الشرق رحلة الأدباء الفرنسيون إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم مي عبد الكريم وعلي بدر، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م، ص7.

[17] . محمد عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس، ص19.

ISSN : 2410-1818

الأوروبي والصهيوني إلى إعادة رسم خارطة فلسطين انطلاقاً من الرؤية التوراتية الملفقة بفعل سياسي جمع بين ثلاث سمات هي:

1- اعتماده على حكايات النص التوراتي، وخيال المهووسين بهذا النص من الساسة والباحثين والمثقفين وعلماء الدين والمثقفين.

2- استراتيجية السياسات الاحتلالية الاستعمارية المعتمدة على أجندة الحفر والتنقيب والبحث والتفسير.

3- إنشاء المتاحف الأثرية وتعبئتها بالتلفيقات الأثرية عن الآثار التوراتية في فلسطين فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم, اعتبر الصهاينة الأوربيون والأمريكيون أن استعمار فلسطين نعمة إلهية وأنه ينبغي السيطرة عليها وتجاهل السكان العرب الأصليين, والحط من قدرهم بالاعتماد على علم الآثار([18]). ويشرح المؤرخ اليهودي نيل أشر سلبرمان ذلك بقوله " كان جوهر الأرض المقدسة التاريخي بالنسبة للكثيرين أكثر جاذبية بكثير من واقعها الراهن حيث بدأ علماء الآثار الغربيون بالحفر والتنقيب بالأرض للعثور على آثار ملموسة لهذا الجوهر, لا مجرد الانكباب على الخرائط وكانوا بهذه التنقيبات الأثرية يستبدلون جغرافية مشهد توراتي بمشهد قائم يحدد هوية جديدة للأرض وخلقت مصادقة حكومة الانتداب على التبني الرسمي للتسميات التوراتية للأماكن الفلسطينية ثم تبني لجنة الأسماء الأكاديمية الإسرائيلية للأسماء العبرية, جغرافية معاصرة مختلفة جذرياً عن تلك المعروفة لدى سكان فلسطين ومستكشفيها في القرن التاسع عشر بإعادة تصنيع جغرافيا فلسطين وتاريخها على غرار صورتها المتخيلة في التوراة, فقد كان علماء ومستكشفو قوى الغرب الكبرى أدوات شرعنة أيدلوجية لتحول اقتصادي وسياسي لا يقل مداه عما تحقق من نجاح تام في مدن أمريكا التي حملت أسماء كنعان الجديدة وبيت لحم والناصرة وأورشليم"([19]).

كما ساهمت هذه التلفيقات بخلق أوهام وهوس البحث عن الضريح المقدس وتابوت العهد لدى الباحثين الأوروبيين بروز طابور طويل من علماء الآثار اللاهوتيين السعداء بالحفر مع معول في يده وتوراة في اليد الأخرى فإذا كان المنقب يؤمن بأن تلاً من التلال في فلسطين سيحوي على تابوت سليمان فمن المؤكد أنه سيجد مبنى أو مبانٍ وينسبها فوراً إلى معتقده حتى وإن كان الدليل معاكس, تماماً مثلما دخل في رأس بعض الناس في إيرلندا من أن تابوت العهد الإسرائيلي مدفون تحت مرتفع من مرتفعات تارا, وفي سعيهم من وراء هذا الوهم حفروا ودمروا المرتفع بأكمله ولم يجدوا التابوت ولكن عرف أنهم وجدوا أشياء معينة ومبانٍ قد تكون ذات فائدة للتاريخ المحلي ضاعت بسبب السعي وراء هدف وهمي

[18] ـ ينظر: محمد الأسعد، المخيلة الاستعمارية تقتلع مدينة من حاضرها ومستقبلها وجذورها: القدس أنموذجاً، المستقبل العربي، العدد (424)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت, 20 ,ص12.

[19] . المر جع نفسه، ص15.14.

ISSN : 2410-1818

هو تابوت العهد وهكذا الحال في فلسطين[20].فقد اعتبر الصهاينة أن حين وصلوا إلى فلسطين في العام 1882م أن فلسطين أرض خالية من أهلها الفلسطينيين الذين يعيشون فيها وكانوا في نظر الصهاينة الأمريكيين غير موجودين ويجب التغلب عليهم وإزاحتهم عن أرضهم من أجل الانبعاث القومي للأرض التي أسستها الحركة الصهيونية, ويشير الكاتب الأمريكي لورانس أندرسن إلى الرؤى الاستعمارية التي لا ترى إلاّ ما تريد وما يخدم مصالحها الاستعمارية في سياق متابعته لاستكشاف فلسطين على يد علماء الآثار العربية وبخاصة في العقد الأول من القرن العشرين بعد الاحتلال البريطاني وتنظيم الوصول إلى فلسطين واستجاب علماء الآثار الغربيون بحماسة يسبقها التوقع والفهم المسبق بأن التوراة كتابٌ تاريخيٌ وأن دخولهم إلى فلسطين سبب ذلك الفهم المسبق للتوراة[21].

على خلاف ما تعتقد كثير من الدراسات الفلسطينية لنشأة الهوية الوطنية الفلسطينية والوعي الفلسطيني فيما بعد النكبة عام 1948م, وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1969م[22] فأننا نرى بأن الاستعمار الأوروبي منذ الحروب الصليبية قد ساهم في تكوين وعي هوياتي يخص الأنا الفلسطينية في مقابل الآخر الاستعماري المتوحش الذي يدنس الأرض الفلسطينية وتعاطى مع هذا الوعي من خلال مخزون هائل من المعان والدلالات كونتها كتابات المؤرخين والجغرافيين والفقهاء العرب التي تزامنت مع هجمات الأوربيين والكنيسة الأوروبية على الأرض العربية الفلسطينية وهي الحقيقة التي اتسمت بمرارة التحدي في عصر مال فيه ميزان القوى لصالح الغرب السياسي والعسكري المحتل لفلسطين وعموم الشام.

عمل الاحتلال الأوروبي سواء بأي مسمى حروب صليبية أو كشوف جغرافية أو استعمار حديث على توظيف التوراة باعتبارها نصاً ملفقاً يعكس آمال وطموحات القوى الرأسمالية الاستعمارية الأوروبية العالمية الناشئة في القرن الخامس عشر نحو السيطرة على الثروات العالمية في الشرق مستخدمةً ذريعة الوصول إلى القدس، فقد كان مشروع دوران كولومبس حول الأرض هو الوصول إلى بيت المقدس، وصولاً إلى مشروع الحركة الصهيونية العالمية لاحتلال فلسطين في القرن التاسع عشر.

1/5: فلسطين الانتدابية

بعد الاحتلال البريطاني لبلاد الشام وفلسطين عام 1918م سعت بريطانيا إلى وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية ممثلة بنظام الانتداب : وهو نظام وضعته الدول الاستعمارية عام 1919م بعد الحرب العالمية الأولى خلال مؤتمر الصلح بين بريطانيا وفرنسا وتركيا والذي يهدف إلى اقتسام أراضي الإمبراطورية العثمانية, وهو نوع من الاستعمار المباشر تفرض خلاله الدول القوية الوصاية الاستعمارية

---

[20] . المرجع نفسه، ص126.

[21] . محمد الأسعد المخيلة الاستعمارية، ص12.

[22] . ينظر: اباهر السقا، ورقة مفاهيمية حول مشروع دراسة الهويات الفلسطينية، ص11.10.

ISSN : 2410-1818

على الدول الضعيفة , بهدف مساعدة هذه الدول على ترقية نفسها للوصول إلى مصاف الدول المتقدمة , وقد ابتدعته الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى بهدف السيطرة على هذه الشعوب .

ويمثل الانتداب البريطاني على فلسطين خارطة الطريق لتطبيق وعد بلفور المشئوم بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين؛ ولتحقيق هذه الخارطة أتبعت بريطانيا سياسة إسداء الوعود الكاذبة للعرب لمنحهم الاستقلال عن الباب العالي العثماني, وتبادل شريف مكة الحسين بن علي الرسائل مع المعتمد البريطاني في القاهرة هنري مكماهون, فوعد ابن علي بمنح الولايات العربية الاستقلال ([23]). من جهة ، ومن جهة أخرى، تمكين اليهود من السيطرة على فلسطين وإقامة دولتهم على حساب الفلسطينيين، وذلك عن طريق منح الصهاينة المزيد من تسهيلات الهجرة إلى فلسطين وإقامة مستعمراتهم الاستيطانية على الأراضي الفلسطينية.

وعقب فراغ بريطانيا وفرنسا من اقتسام الشام والعراق بينهما تقدمت المنظمة الصهيونية العالمية بطلب إلى مؤتمر الصلح المنعقد في العاصمة الفرنسية باريس عام 1919م, تطالب المؤتمر بتكليف بريطانيا بالانتداب على فلسطين, وهو ما مهد الطريق لانتداب بريطانيا على فلسطين.وفي 25 ابريل 1920م وافق المجلس الأعلى للدول المتحالفة عند انعقاده بسان ريمو على أن يكون لبريطانيا مهمة الانتداب على فلسطين , وفي 24 يوليو 1922م أسند مجلس عصبة الأمم ـ الذي أصبح فيما بعد الأمم المتحدة ـ مهمة الانتداب إلى الحكومة البريطانية, إلاّ أن الانتداب لم يُطَبق رسميا لأن تركيا لم تكن قد وافقت على انفصال ولاياتها العربية عنها , ولكن بمقتضى اتفاقية سيفر في 10 أغسطس 1920م وافقت تركيا على انفصال ولاياتها عنها , كما وافقت على وعد بلفور , غير أن الجمعية الوطنية التركية لم تصادق على اتفاقية سيفر ووعد بلفور إلاّ بعد مضي ثلاث سنوات عندما أبرمت معاهدة لوزان ووقعت عليها تركيا في 24يوليو 1923م وبهذا أصبح الانتداب ساري المفعول.

وقد أحتوى صك الانتداب الصادر في 1921/7/6م من قبل عُصبة الأمم على (28) مادة كانت في معظمها ترجمة عملية لوعد بلفور ([24]).

---

[23] .فيصل الخير، وآخرون، موجز تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي عشر، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة , 2010م، ص686.687.

[24] . 1. مادة (1): يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة باستثناء ما يكون قيد في نص هذا الصك.
2. تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تتضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وترقية مؤسسات الحكم الذاتي , وتكون مسئولة أيضاً عن صيانة الحقوق والحريات المدنية والدينية لسكان فلسطين بصرف النظر عن الجنس والدين .3. تشجع الدولة المنتدبة الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف.4. تعترف الدولة المنتدبة بهيئة أو وكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين 5. الدولة المنتدبة مسئولّة عن ضمان عدم التنازل عن أي جزءٍ من فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية .6. على حكومة (إدارة)فلسطين ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع الأهالي الأخرى .
7. تتولى إدارة فلسطين مسئولية سن قانون الجنسية وينبغي أن يشمل على تسهيل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون من فلسطين مقاماً لهم .8. تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الأجنبية بشأن تسليم المجرمين إلى أن تعقد اتفاقية

ISSN : 2410-1818

وقد تميز الاحتلال البريطاني عن غيره من أنواع الاحتلال الأوروبي لفلسطين أنه وسع مفهوم فلسطين ليتجاوز حدود القدس والأماكن المقدسة ليشمل كل المناطق التي كانت إلى وقت قريب تحت السيطرة العثمانية، وهي غير الأراضي المقدسة التي استقرت عليها مخيلة الرحالة الأوربيين، وأصبحت

خاصة بذلك فيما يتعلق بفلسطين .9. الحفاظ على امتيازات وحصانات الأجانب وحمايتهم أمام المحاكم القنصلية والحماية التي يتمتع بها الأجانب في السابق عهد المملكة العثمانية بحيث تكون الرعاية نافذة في فلسطين .10. الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل النظام القضائي القائم في فلسطين ضامناً تمام الضمان لحقوق الأجانب الوطنية على السواء في احترام الشخصية الدينية المختلفة وإدارة الأوقاف خاضعة للشرائع الدينية وشروط الواقفين مضمونة تماماً.11. تتخذ إدارة فلسطين كل ما يلزم جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها وتكون لها السلطة في وضع ما يلزم من الأحكام لاستهلاك أي من الموارد الطبيعية ويمكن للإدارة أن تتفق مع الوكالة اليهودية باستثناء إنشاء أو استخدام المصالح والمنافع العمومية .

12. الدولة المنتدبة تشرف على علاقات فلسطين الخارجية وإصدار البراءة إلى القناصل الذين تعينهم الدول الأجنبية، ويكون لها الحق أيضاً في أن تشمل رعايا فلسطين وهم خارجها بالحماية. 13. تضطلع الدولة المنتدبة بجميع المسئوليات تجاه الأماكن المقدسة والمواقع الدينية في فلسطين وحرية العبادة مع المحافظة على النظام ال عام14. تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لتحديد وتقرير الحقوق المتعلقة بالأماكن المقدسة والطوائف الدينية 15. يترتب على الدولة المنتدبة أن تضمن جميع الحقوق الكاملة والتامة للجميع شرط المحافظة على النظام العام ولا تمييز بين سكان فلسطين بحسب الجنس أو اللغة ولا يحرم شخص من دخول فلسطين بسبب معتقده الديني. 16. يكون للدولة المنتدبة الأشراف على الطوائف المذهبية بما يقتضي المحافظة على النظام العام والإشراف على الهيئات الدينية والحزبية التابعة لجميع الطوائف المذهبية في فلسطين. 17. يجوز لإدارة فلسطين أن تنظم على أساس التطوع القوات اللازمة للمحافظة على النظام العام والدفاع عن البلاد شرط أن يكون ذلك خاضعاً لإشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز لإدارة فلسطين أن تستخدم هذه القوات في غير المهام أنفة الذكر إلاّ بموافقة الدولة المنتدبة ويحق للدولة المنتدبة أن تستخدم طرق فلسطين الحديدية لتلك الأغراض. 18. عدم التمييز بين رعايا الدول الداخلة في عصبة الأمم ومن جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدول في الأجور والضرائب أو التجارة أو الملاحة والسفن التجارية والطائرات المدنية، وإطلاق حرية البضائع عن طريق الترانزيت عبر البلاد المشمولة بالانتداب مع الرسوم الجمركية ويجوز لها أن تعقد بالتشاور مع الدولة المنتدبة اتفاقاً خارجياً مع أي دولة من الدولة التي كانت أملاكها في سنة 1914م داخلة في تركيا أو شبه جزيرة العرب. 19. تنظم الدولة المنتدبة بالنيابة عن فلسطين جميع المواثيق الدولية التي سبق عقدها بموافقة عصبة الأمم والخاصة بالاتجار بالرقيق والسلاح والمخدرات والمرور والبضائع. 20. تتعاون الدولة المنتدبة مع إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقرها عصبة الأمم. 21. على الدولة المنتدبة أن تؤمن الآثار القديمة وهي كل الآثار القديمة قبل 1700 ق.م، وسن التشريعات المتعلقة بحمايتها، ولا يجوز بيعها إلا لدائرة مختصة ويحضر إجراء الحفر أو التنقيب للبحث عن الآثار، أو إتلاف أي قطعة أثرية وعدم إعطاء التصاريح لإجراء الحفريات. 22. تكون اللغات الانجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين وكل عبارة تورد بالعربية تترجم إلى اللغتين الأخيرتين والعكس. 23. تعترف إدارة فلسطين بالدول العربية وتعقد معها الاتفاقيات الداخلية فيما يتعلق بالتجارة الداخلية وتحت إشراف الدولة المنتدبة. 24. تقدم الدولة المنتدبة إلى عصبة الأمم تقريراً سنوياً بشأن التدابير التي اتخذتها بشأن فلسطين في تلك السنة وترسل نسخة من كل القوانين التي تصدرها أو تصادق عليها اثنا تلك السنة. 25. يحق للدولة المنتدبة بموافقة عصبة الأمم أن ترجئ تطبيق ما تراه من هذه القوانين والنصوص غير القانونية على المنطقة الواقعة بين نهر الأردن الحد الشرقي لفلسطين بما لا يتعارض مع المدة 15 , 16 , 18 من هذا الصك. 26. توافق الدولة المنتدبة على أنه إذا وقع خلاف بينها وبين عضو أخر من أعضاء عصبة الأمم حول تفسير صك الانتداب أو تطبيق بنوده وتعذر حله بالمفاوضات فيعرض على محكمة العدل الدولية بموجب المادة 14 من ميثاق عصبة الأمم. 27. إن كل تعديل يجري على شروط الانتداب يجب أن يكون مقترناً بموافقة مجلس عصبة الأمم. 28. في حالة أنتها الانتداب الممنوح للدولة المنتدبة بموجب هذا الصك يتخذ مجلس عصبة الأمم ما يراه مناسباً وضرورياً من التدابير لصون الحقوق المؤمنة بموجب المادتين 13 , 14 , من هذا الصك ويستعمل نفوذه لما يكفل احترام حكومة فلسطين للالتزامات المالية التي تحملها بصورة مشروعة إدارة فلسطين في عهد الانتداب ومن جملة ذلك حقوق الموظفين ورواتب التقاعد والمكافآت.

ISSN : 2410-1818

تتسع بحيث تلبي ما ينتظره الساسة البريطانيون الداعمون للصهيونية العالمية التي تحلم بفلسطين من النيل إلى الفرات، متجاوزة الأحلام التوراتية التي لا تنتهي.

المحور الثاني: السلب الاستعماري الأوروصهيوني للهوية الوطنية الفلسطينية

2/1: السلب الجغرافي والديمغرافي لفلسطين

في 15 يناير 1915م بعث هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين مذكرة إلى رئيس وزراء بريطانيا يقترح فيها إقامة محمية بريطانية في فلسطين يسمح فيها لليهود بالهجرة إليها لإقامة مركز ثقافي وديني لليهودية على أن يتمتع اليهود فيها بحكم ذاتي يتطور فيما بعد ليصبح دولة موالية لبريطانيا تحمي مصالحها في المنطقة ([25]).

ودعا لورانس اولفيت (1829-1888م) في كتابه " أرض جلعاد " إلى إقامة مستعمرة يهودية شرق نهر الأردن على مساحة مليون ونصف المليون دونماً, ويطردُ خلالها العربُ والفلاحون وحصرهم في أرض خاصة بهم كالهنود الحمر في أمريكا([26]).

وكان من نتائج مؤتمر بازل الصهيوني عام 1897م ما يأتي:

1- تشجيع استيطان اليهود الأوروبيين في فلسطين بشراء الأرض من ملاكها وتأجيرها للمستوطنين الجدد بشكل دائم وبأجور ثابتة

2- تنظيم وربط جميع اليهود عن طريق المؤسسات المحلية والدولية وطبقاً لقانون كل دولة وتوجيه الرأسمال اليهودي لإقامة مصانع ذات طبيعة قومية، وتوجيه تلك المصانع لخدمة الأهداف العسكرية.

3- تعزيز الإحساس والشعور القومي اليهودي.

4- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة حكومية للوصول إلى الأهداف.

ولتحقيق هذه الأهداف عملت الصهيونية العالمية للوصول إلى اتفاقية سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا ومؤتمر سان ريمو 1914م والقاضي باقتسام أراضي الإمبراطورية العثمانية, والسيطرة على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب , واستعمار البلدان العربية ونهب ثرواتها وتحويلها إلى أسواق تجارية لتصريف منتجات أوروبا , تنفيذاً للمشروع الاستيطاني الصهيوني المرتبط بالمشروع الرأسمالي الاستعماري العالمي ([27]) .

وقد تزامنت موجات الهجرات اليهودية الأولى إلى فلسطين مع احتلال بريطانيا لمصر عام 1882م , حيث لم يكن هنالك استيطان صهيوني في فلسطين , وعدد اليهود حينها لم يكن يتجاوز (25) ألفاً

---

[25] . المرجع نفسه، ص198.

[26] . أمين محمود، مشاريع الاستيطان..، ص96.

[27] . دياب مخادمة وموسى الدويك، الاستيطان الصهيوني وأثره على مستقبل فلسطين، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان , 2012م، ص29.

ISSN : 2410-1818

يقطنون القدس وطبرية وصفد , وبعد مؤتمر بازل 1897م تضاعف عدد المستوطنات الصهيونية إلى (22) مستوطنة يبلغ عدد سكانها(4900) مستوطن يشغلون مساحة (200) مائتي ألف دونم , ومع بداية العام 1914م تضاعف عدد المستوطنات لتصل إلى (47) مستوطنة يصل سكانها بين (35-45) ألف مستوطناً ([28]). وفي العام ذاته الذي صدر به وعد بلفور أتم البريطانيون احتلال القدس وشمال فلسطين وجنوبها وشرق الأردن , وفي العام 1918م احتلت بريطانيا الأردن وسوريا ولبنان وقد ساهم هذا الوعد في زيادة موجات المهاجرين بفتح باب الهجرة ابتداءً من العام 1921م لتصل إلى (16) ألف مهاجر سنوياً , ليرفع عدد السكان اليهود في فلسطين إلى (115) ألف نسمة يتوزعون على (71) مستوطنة([29]) .

1- أداء الانتداب إلى تزايد أعداد اليهود في فلسطين بعد أن كان عدد سكان فلسطين عام 1918م (665) ألف نسمة، منهم (510) ألف نسمة من العرب يشكلون نسبة 91,73%، (55) ألفاً من اليهود يشكلون نسبة 8,17% من مجموع سكان فلسطين حيث وصل عدد اليهود إلى (650) ألفاً أي ما يعادل (31%) من عدد السكان ونسبة (6,5) من مساحة فلسطين تقام عليها (291) مستوطنة عام 1948م.

2- تغيير الخارطة السياسية، والحدود الجغرافية لدول بلاد الشام، وسلخ فلسطين عن سوريا وابتداع الحدود الحالية لفلسطين تمهيداً لسلبها من مُلاكها الحقيقيين (العرب) وإعطائها لمن لا يستحقها (الصهاينة) تحقيقاً لوعد بلفور الصهيوني.

3- القضاء على الهوية العربية الإسلامية للأرض الفلسطينية ومحاولة إضفاء الهوية الصهيونية عليها بالتغيير الجغرافي للأرض وإعطائها الحدود الجديدة، والتغيير الديمغرافي بزيادة عدد الصهاينة فها، والتغيير السياسي بإقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام 1948م.

وخلاصة القول أن الاحتلال البريطاني والصهيوني قد ساهم في سلب التراب الجغرافي لفلسطين وبلاد الشام والعالم العربي بإعادة رسم خارطته السياسية على أساس بنود اتفاقية سايكس بيكو, وضرب مفهوم سوريا الكبرى وسلخها وإلغاء مسمى سوريا الجنوبية, وحصرها في فلسطين الانتدابية المحتلة حاليا من قبل الصهاينة, واتباع سياسة التفكيك وفرق تسد بين أبناء الوطن العربي الفلسطيني بخلق ولاءات جديدة وانقسامات بين الفلسطينيين أنفسهم إلى قبائل موالية للبريطانيين وأخرى ضدهم, وهو أسلوب نجحت فيه بريطانيا أثناء استعمارها للشطر الجنوبي من الوطن اليمني بتمزيقه إلى ثلاثٍ وعشرين ولاية ومشيخة، كل ولاية مستقلة عن الأخرى، فلم يتوحد إلاّ بعد خروج بريطانيا منه عام 1967م.

وعملت بريطانيا على تفتيت الهويات الجامعة وخلق هويات أصغر وأضيق بتشجيعها للأقليات الطائفية في فلسطين والشام عموماً.

---

[28] . ينظر: المسيري، الموسوعة , 3/47.41.

[29] . ينظر: محسن محمد صالح، فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة , 2003م، ص34.

ISSN : 2410-1818

وفي الفترة الممتدة بين 1932-1944م عملت بريطانيا على مساعدة اليهود في إنشاء بنية تحتية داخل فلسطين توازي البنية التحتية البريطانية , ونقل ملكية الأراضي من العرب إلى المستوطنين عن طريق تسهيل عمل الشركات الاستيطانية الصهيونية , وفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ورفع القيود عليها , لإحلال المستوطنين الجدد محل أصحاب الأرض حيث بلغ عدد المستوطنين مع نهاية العام 1944م إلى ما يزيد على (250) ألف مستوطن([30]).

مع أن بريطانيا لم تتمكن من تغيير البنية الديمغرافية السكانية لصالح المستوطنين الصهاينة في فلسطين، إلاّ أنها كانت عازمة على تنفيذ وعودها لحركة الصهيونية العالمية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين تمهيداً لإقامة دولتهم على أرض فلسطين، خصوصاً بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، حيث وصل عدد اليهود إلى (650) ألف؛ أي ما يعادل (31%) من عدد السكان ونسبة (6,5) من مساحة فلسطين، أقيم عليها (291) مستوطنة حتى عام 1948م.

وبعد المقاومة المسلحة للمشروع الاستيطاني الصهيوني, نقلت بريطانيا الإشراف على فلسطين إلى الأمم المتحدة ـ لتدويل قضية فلسطين ـ تمهيداً لإنهاء الانتداب البريطاني , وإقامة الدولة الصهيونية على تراب فلسطين , حيث عرضت بريطانيا في مؤتمر لندن المنعقد في 10 سبتمبر 1946م مشروع موريسون لتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق, منطقة لليهود, ومنطقة للعرب, ومنطقة القدس, ومنطقة النقب, وقررت بريطانيا أن ترفع يدها عن الانتداب وتحيل قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة, فدعت بريطانيا في 2 ابريل 1947م الأمم المتحدة لعقد دورة استثنائية بشأن فلسطين وبعد مناقشة طويلة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 15 مايو 1947م تشكيل لجنة من (11) دولة سميت لجنة (أنسكوب), وذلك للتحقيق بشأن فلسطين ورفع تقرير للجمعية العامة , وقد أقرت في تقريرها أن العرب يمثلون (93,5) من عدد السكان ويمثل اليهود (7,5) من عدد السكان, كما أوصت اللجنة في تقريرها بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين, ومنح الفلسطينيين الاستقلال, ووضعت مقترحين الأول: يقضي بإقامة دولتين يربط بينهما اتحاد اقتصادي, على أن يسبق ذلك مرحلة انتقالية تكون السلطة فيها للأمم المتحدة مع الحفاظ على الصيغة الدينية للأماكن المقدسة, تكون الدولة العربية على مساحة (42,88) من الأراضي الفلسطينية ويسكنها (750) ألف عربي, و (10) ألف يهودي, وتكون الدولة اليهودية على مساحة (56,74) من الأراضي الفلسطينية يسكنها (498) ألف يهودي, و(479) ألف عربي, ويوضع للقدس نظام خاص يخضع للأمم المتحدة مباشرة ويسكنها (150) ألف عربي, و (100) ألف يهودي ([31]).

والمقترح الثاني : يقضي بإقامة دولة اتحادية عاصمتها القدس تظم حكومتين مستقلتين ـ قُدم هذا المقترح من ثلاث دول هي الهند وإيران ويوغسلافيا ـ وقد جعلت الأمم المتحدة من نفسها لجنة خاصة

[30] . المسيري، الموسوعة , 68/3.

[31] . محسن صالح، دراسات في القضية الفلسطينية، ص438437.

ISSN : 2410-1818

لبحث القضية الفلسطينية وعقدت ما يزيد على (37) اجتماعاً أسفرت في 25 نوفمبر 1947م عن الموافقة على خطة التقسيم الأولى مع بعض التعديل حيث جُعلت يافا والنقب ضمن مساحة الدولة اليهودية لتصبح (54,7) ؛ أي ما يعادل (14400كم^2) , و (44,8) للدولة العربية ، وهو ما يعادل (11780كم^2) , ونحو(05%) لمنطقة القدس , وقد فاز المقترح بـ (25) صوتاً مقابل (13) صوتاً وامتناع (17) دولةً عن التصويت ([32]).

ولما لم يحصل القرار على الأغلبية المطلوبة للتصويت أعادت بريطانيا بعد خمسة أيامٍ طُرِح الموضوع للتصويت في 29 نوفمبر 1947م حيث فاز مقترح التقسيم ـ الذي تحول إلى قرارٍ للأمم المتحدة رقم (181) ـ بأغلبية 33 صوتاً مقابل 13صوتاً وامتنعت 10 دول عن التصويت من ضمنها بريطانيا ، حيث عُورِضَ القرار من قِبل جميع الدول الإسلامية ، والهند ، وكوبا ، واليونان، وقد كان هذا القرار مخالفاً لقوانين الأمم المتحدة وأهداف نشأتها للأسباب الآتية:

1- مخالفة هذا القرار لنصوص ميثاق الأمم المتحدة القاضية بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها وليس بالدولة الاستعمارية التي تحتلها.

2- ليس له سند قانوني لأن الأمم المتحدة ليس لها سلطة التصرف بشئون الأقاليم (الدول) الموضوعة تحت الانتداب ومنها فلسطين، فالشعوب في هذه الأقاليم هي من تقرر مصيرها.

3- ليس في ميثاق الأمم المتحدة ما يخول لأي هيئة تقسيم أي بلد خلافاً لرغبة سكانه.

4- يعد قرار التقسيم غير مُلزِمٍ بموجب المادة 10 من ميثاق الأمم المتحدة ولا يمكن أن يمس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ومنها حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه وإقامة دولته المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس الشريف.

5- خالف التقسيم السكاني ولم يراع الأرض والسكان , فاليهود لم يكونوا يمتلكون سواء 6,5 % من مجموع أراضي فلسطين , ولم يكونوا يتجاوزون 31,5 من عدد السكان ([33]).

كان هذا القرار بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير لأنه كرس الحلم الاستيطاني بقيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين , وأكسبه صيغة واقعية وشرعية دولية لطموحاتهم الاستيطانية, من جهة, ووفر لبريطانيا إمكانية رفع يدها عن فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية من جهة أخرى , وهو ما حدث بالفعل, حيث تقدمت بريطانيا في 13 مايو 1948م بطلب إنهاء الانتداب على فلسطين , وأعلن في اليوم التالي قيام الكيان الصهيوني على الأراضي التي منحها إياه قرار التقسيم رقم (181) الصادر من الأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947م , فكان إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني في 14مايو 1948م.

---

[32] . المرجع نفسه، ص439.

[33] . المرجع نفسه، ص440.

ISSN : 2410-1818

2/2- السلب الاقتصادي

عرف الغرب مصلحته الاستراتيجية منذ بداية القرن التاسع عشر بطريقة جعلته ينظر للمنطقة العربية باعتبارها مصدراً هائلاً للثروات والمواد الخام الرخيصة ومجالاً خصباً للاستثمار, وسوق عظيمة للسلع التي ينتجها ويصرفها, وقاعدة استراتيجية شديدة الخطورة لأمنه, لذا فقد تعزز لدى الغرب شعور تجاه الشرق عامة والوطن العربي وفلسطين خاصة باعتباره فراغ يجب ملئه وكأن وطننا العربي وفلسطين وطنٌ لا يقطنه شعب عريق له تاريخ حضاري, وكأن الوطن العربي وفلسطين وجدا جغرافيا مجردين من التاريخ, التقى هذا التصور الغربي مع التصور الصهيوني لعالمنا العربي ولفلسطين بأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض, فالضفة الغربية على سبيل المثال بعد أن استكملوا احتلال كل فلسطين ولم تتبق إلاّ الضفة الغربية يعتبرونها (يهوذا والسامرة)([34]).

ولتحقيق هذا التصور الغربي احتلت بريطانيا فلسطين عام 1918م وهيمنت على القطاع الاقتصادي الفلسطيني وقضت على الصناعات المحلية الفلسطينية, وحولت الاقتصاد الفلسطيني من اقتصاد إنتاجي زراعي إلى اقتصاد صناعي استهلاكي مستورد يعتمد على الاستيراد للسلع البريطانية والغربية عموماً, وذلك بإطلاقها الحرية التامة لدخول بضائعها إلى السوق الفلسطينية, وإعفاء الشركات البضائع البريطانية من الضرائب والجمارك على السفن التي تنقلها إلى فلسطين, معتمدة في ذلك على نص المادة (18) من صك الانتداب البريطاني على فلسطين([35]) مما قلص أعداد المؤسسات الصناعية الفلسطينية إلى حدٍ كبير أضر بالاقتصاد الفلسطيني.

وقد هدفت بريطانيا من وراء تلك الإجراءات إلحاق الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الأوروبي العامل بالية السوق الحرة, وإدماجه في فلك الشركات متعددة الجنسيات, بتزييف وعي المواطن الفلسطيني لضمان تبعيتهم للهيمنة الاستعمارية الأوروبية, مستخدمة في ذلك عدد من الآليات الاقتصادية والأساليب الدعائية والإعلامية الترويجية, التي تعمل ليس فقط على القضاء على الهوية الاقتصادية الوطنية الفلسطينية وتدمير مقوماتها الاقتصادية وحسب, بل وتسيطر من خلال تلك الأساليب على وعي المواطن الفلسطيني ومدركاته الحسية والسلوكية؛ بإحلال الترويج الإعلامي للمنتجات الأوروبية للشركات متعددة الجنسيات عبر الصحف والمجلات الفلسطينية, التي تعد الوسيط الإعلامي الترويجي آنذاك المرتبط بالنظام الرأسمالي المهيمن وبنيته الاستعمارية بما يؤدي إلى السيطرة التامة على السوق

---

[34] . ينظر: المسيري، البروتكولات الصهيونية، دار الشروق، القاهرة, 2003م, 171.

[35] . " يجب على الدولة المنتدبة عدم التمييز بين رعايا الدول الداخلة في عصبة الأمم ومن جملة ذلك الشركات والضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي البضائع المحلية أو معاملة السفن التجارية والطائرات المدنية وتطلق حرية مرور البضائع بطريق الترانزيت إلى جميع الدول المشمولة بالانتداب بشروط مادته" ينظر: لوزية بزار، البيئة الثقافية والاقتصادية في فلسطين الانتدابية، المستقبل العربي، العدد (546)، يناير 2017م، ص96.

ISSN : 2410-1818

وعلى وعي المواطن فالساحة الفلسطينية والعربية تخلو من أي منافس بعد القضاء على مقومات الاقتصاد الفلسطيني([36]).

فضلاً عن بروز ازدواجية الهيمنة الاستعمارية على السوق الفلسطينية سياسياً واقتصادياً بعد إخضاعها لقوانين الاستعمار والإنتاج الصناعي الأوروبي الرأسمالي, ومن ثم ثقافياً واجتماعياً عبر استحضار تخيلات رسمها مجتمع التقدم في لا وعي المجتمع العربي الفلسطيني المستعَمر, حيث استهدفت دولة الانتداب الليبرالية الاستعمارية تغيير بنية المجتمع الفلسطيني وهويته وسلوك سكانه الأصليين للحفاظ على تبعيته لقوى الاحتلال الاستعماري, كما طغت صورة المستعمِر الأبيض المتحضر على المشاهد الإعلامية للشركات العابرة للقوميات أثناء الترويج للسلع الصناعية بإضفاء المحفزات الغريزية على كيفية استخدام السلع المضمنة بالسلع الثقافية الرأسمالية الليبرالية الاستعمارية ([37]).

2/3- السلب الثقافي

ترى بعض الدراسات أن الهوية الوطنية الفلسطينية تصطدم بثلاث إشكاليات هي " غياب الجماعة الآمنة المستقرة, وغياب الدولة التي تمركز الإنتاج الثقافي والمعرفي, والوضع الإنساني المأساوي الممتد جذوره إلى النكبة عام 1948م, مرحلة أولى و1967م مرحلة ثانية, والحروب التي شنت على الفلسطينيين في لبنان مرحلة ثالثة, وخلقت وضع إنساني سماته الاغتراب والانقسام والتشتت بين الفلسطينيين الذين يعيشون في الداخل والفلسطينيين الذين يعيشون في الخارج"([38]).

ليس شرطاً أن يعيش الفلسطينيون حالة الاغتراب (والجيتو)[39] الذي عاشته الجماعات اليهودية في الشتات اليهودي كما تعتقد دراسة يعقوب, ذلك أن اللاجئين الفلسطينيين ليس جلهم في الدول الغربية ومعظمهم في الدول العربية التي تشاطرهم الإحساس بقضيتهم وهويتهم التي هي جزء لا يتجزأ من الهوية العربية الجامعة والإسلامية الأوسع كون فلسطين قضية إسلامية تتوطن الهوية الإسلامية وتحتل حيزاً كبيراً في تكوين الهوية الفلسطينية, وعامل من عوامل بقائها واستمرارها.

ولعل من نافل القول إن اللاجئ الفلسطيني تميز بمناعة ذاتية مكنته من عدم الذوبان في المجتمعات التي هجر قسراً إليها سواءً كانت أوروبية أو عربية، وأبدع في الارتباط بوطنه فلسطين بمدنها وقراها وكتب شعراً ونثراً جميلاً ساهم في تعزيز الارتباط بالأرض الفلسطينية، وتنمية روح

---

[36] . لويزية بزار، البيئة الثقافية في فلسطين الانتدابية، المستقبل العربي، العدد (546)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون ثاني, 2017م، ص98.

[37] . المرجع نفسه، ص116.

[38] . محمد حافظ يعقوب، في التعبيرات الأولى للهوية الفلسطينية سنوات الجمر 1917ـــ1922م، مجلة الدراسات الفلسطينية العد (35)، المجلد التاسع, 2998م، ص31.

[39] . مصطلح يشير إلى حالة الاغتراب والانعزال التي عاشتها الجماعات اليهودية في أوروبا في القرون الوسطى.

ISSN : 2410-1818

المقاومة لمختلف مظاهر السلب الاحتلالي البريطاني والصهيوني. فكانت المقامة الوطنية الفلسطينية لهذا السلب شاملة ومتجددة تأخذ في اعتبارها جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية في مواجهة المشروع الاحتلالي الصهيوني.

ويعد السلب الثقافي والإعلامي للهوية الفلسطينية أخطر أنواع السلب؛ لأنه يتعدى حدود الداخل الفلسطيني إلى الفضاء العربي، حيث يقوم بضرب المفاهيم الوطنية والقومية مستخدماً آلته الإعلامية الضخمة، وتتجلى مظاهره في الآتي:

1- الترويج للهويات المناطقية الضيقة لتحل محل الهويات الوطنية والقومية الجامعة، وذلك بنعت سكان الداخل الفلسطيني بالمناطق والأحياء التي يسكنونها فتنعت سكان القدس بالمقدسيين، وسطان غزه بالغزاويين.. وهكذا ، في مسعى الاحتلال الصهيوني وآلته الإعلامية الناطقة بالعبرية والعربية، إلى تكريس ثقافة التجزئة ونشر الهويات الجزئية على حساب الهوية الوطنية الأم.

2- التطبيع الإعلامي مع العديد من القنوات العربية الرسمية والأهلية التي تصف الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين بالدولة الإسرائيلية، ولا تشير إلى كونه محتلاً لأرض فلسطين.

3- تسفيه مفهوم الوطن الفلسطيني وتغييبه من المناهج الدراسية الفلسطينية وغير الفلسطينية، بحجة فشل تربة الدولة الوطنية ذات الطابع القومي التي نشأت على أنقاض الاستعمار الأوروبي للوطن العربي بعد ثورة 23 يوليو 1952م.

4- تغييب مفهوم الجهاد والخلط بينه وبين الإرهاب، فالجهاد ضد المحتل مشروع في كل القوانين والأعراف الدولية والإنسانية.

المحور الثالث: الممانعة وتحدياتها

3/1: الممانعة الوطنية الفلسطينية للسلب الاحتلالي ومظاهرها

مفهوم الممانعة:

الممانعة: هي الرفض والاستقواء بقوة الحق لا حق القوة ويقصد به بهذا البحث أيضاً تعدد الأشكال الرافضة للاحتلال الأوروبي الإسرائيلي لفلسطين العربية بما وهي فيها استيقاظ الضمير العالمي للبشرية جمعا ء هذا التعدد الرافض يتمثل في المقاومة العسكرية السياسية الاقتصادية الثقافية والأدبية بل والفكرية وهي ممانعة معتمدة على قوة الحق لا حق القوة منهجها العلم والروية الموضوعية لقضية فلسطين وهي القضية المركزية للمواطن العربي ومن بعده العالم الإسلامي وكما حددنا أيضاً يشاركنا في ذلك الضمير العالمي المتمثل في مواقف المجتمعات الغربية كموقف متعاطف مع الإنسان الفلسطيني.

ISSN : 2410-1818

المظهر السياسي

تجسدت مظاهر الممانعة الوطنية الفلسطينية للسلب الاحتلالي في مظاهر عدة أهمها:

1- مذكرات الاحتجاج الموجهة إلى السلطات العثمانية , فقد احتج وجهاء القدس على رشاد باشا المتصرف العثماني في مايو 1890م , وقدموا عريضة إلى رئيس الوزراء العثماني طالبوا فيها بوقف الهجرات الصهيونية إلى فلسطين , ووقف بيع الأراضي الفلسطينية للمستوطنين , وأتبعوها بعريضة في العام 1891م تحمل توقيع خمسمائة شخص إلى الصدر الأعظم يطالبون فيها بفرمان سلطاني يوقف الهجرات ويمنع بيع الأراضي , غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث , بل ازدادت مدة إقامة اليهود الزائرين من شهر إلى ثلاثة أشهر, وهم يهود قدموا من دول أخرى لزيارة القدس , وهذا الغرض الظاهر , وأما الباطن فهو الاستيطان , ورغم الأوامر التي كانت تصدرها السلطات العثمانية بتقليص عدد المهاجرين , إلاّ أنها لم تتمكن من الحد منها ([40]) .

وقد عبرت هذه الردود عن نشأة الحركة الوطنية الفلسطينية التي بدأت بوادرها بعد عام من الاحتلال البريطاني لفلسطين، وتمثل ذلك في المؤتمر الوطني العربي الأول الذي انعقد في مدينة القدس في الفترة من 27 يناير - 10 فبراير 1919م، وتمخض عنه لجنة تنفيذية لإدارة شئون فلسطين، وتمثيلها بقيادة موسى كاظم الحسيني، وقد خرج المؤتمر بالتوصيات الآتية:

1- رفض الاحتلال البريطاني، وتقسيم بلاد الشام، واعتبار فلسطين جزءاً من سوريا.

2- استقلال الدول العربية، والدعوة لوحدتها تشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين.

3- إلغاء وعد بلفور.

4- وقف الهجرات اليهودية إلى فلسطين.

5- وقف بيع الأراضي الفلسطينية للمستوطنين.

6- الدخول في مفاوضات مع بريطانيا بشأن الاستقلال وقد كثفت اللجنة التنفيذية من مؤتمراتها , فعقدت المؤتمر الثاني في 27 فبراير 1920م في دمشق , والمؤتمر الثالث في حيفا في ديسمبر من العام نفسه , ولم يطرأ على هذين المؤتمرين أي تغيير في التوصيات التي رفعها المؤتمر الأول , فقد تزامنا مع اتفاقية الصلح الموقعة في سأن ريمو عام 1920م , والتي جرى بموجبها فصل فلسطين عن الجسم السوري , ووضع الحدود الحالية لفلسطين تمهيداً للانتداب ([41]) .

وخلال الفترة الممتدة بين 1923- 1928م سريان الانتداب توقفت فعاليات المؤتمر العربي , واللجنة التنفيذية, فيما يتعلق بالأنشطة السياسية, ولم تستأنف إلاّ في العام 1932م بتأسيس حزب الاستقلال

---

[40] ـ فدوى نصيرات، السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في تسهيل السيطرة الصهيونية على فلسطين، المستقبل العربي، العدد (422)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أبريل 2014م، ص53.

[41] . محسن محمد صالح، دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص38.

ISSN : 2410-1818

بزعامة الحاج أمين الحسيني مُفتي القدس الذي عمل على إنشاء جمعية حراسة المسجد الأقصى الشريف والأماكن الإسلامية المقدسة , ولجنة الدفاع عن البراق , وفي أبريل من العام 1936م شكل حزب الاستقلال "الهيئة العربية العليا", وأصبحت هي الجهة التي تمثل تطلعات الفلسطينيين وطموحاتهم وترأسها الحاج أمين الحسيني , وقد تمخض عن هذه الهيئة التي نالت اعتراف الدول العربية باستثناء الأردن " حكومة عموم فلسطين " في 23 سبتمبر 1948م, واستمرت الهيئة العربية العليا في تمثيل الشعب الفلسطيني إلى أن تأسست منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني في المؤتمر الفلسطيني المنعقد في القدس في الفترة من 28 مايو ـ 2يونيو 1964م الذي نتج عنه "المجلس الوطني الأول", وهو الذي أعلن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية, وأُنتخِب أحمد الشقيري رئيساً لها, وأقر الميثاق القومي الفلسطيني, وأُنشئ الصندوق القومي الفلسطيني, وأقر إعداد الشعب الفلسطيني عسكريا للقيام بدوره في تحرير وطنه, وقد أكد الميثاق القومي الفلسطيني على عروبة فلسطين, وحق أبناء فلسطين في أرضهم , ورفض المشروع الصهيوني, ورفض الاعتراف بالكيان الصهيوني, ورفض قرار التقسيم, وأكد مُضي الشعب الفلسطيني في النضال حتى يتحقق له النصر النهائي , واعتبر أن تحرير فلسطين , وتحقيق الوحدة العربية هدفان متكاملان يؤدي أحدهما إلى تحقيق الآخر ([42]).

وظلت منظمة التحرير الفلسطينية أسيرة توجهات الأنظمة العربية، وتعتمد على العمل السياسي العربي لتحرير فلسطين إلى أن دخلت فصائل العمل الفدائي الفلسطيني ممثلة بحركة فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، وإعادة صياغة الميثاق القومي الفلسطيني ليحل محله "الميثاق الوطني الفلسطيني"، وأعاد ترتيب المجلس الوطني ليتكون من مئة عضو بدلاً من خمسين، وقدم الشقيري استقالته، وخلفه في رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية محمد ياسر عرفات القدوة (أبو عمار) رئيس حركة فتح في 4 فبراير 1969م.

ويرجع تأسيس منظمة العمل الفدائي فتح إلى 1956م عندما احتل الكيان الصهيوني قطاع غزة حيث نظم الفلسطينيون "جبهة المقاومة الشعبية", وضمت شباباً من مختلف الأطياف, ونشطوا في مقاومة الاحتلال الصهيوني مدة أربعة أشهر حيث نظموا بعض الخلايا العسكرية أهمها "جماعة الثأر"؛ الذي كان من أعضائها صلاح خلف (أبو أياد), ومجموعة "كتيبة الحق"؛ التي كان من أعضائها (خليل الوزير أبو جهاد) والذي اغتالته المخابرات الصهيونية (الموساد) في تونس عام 1988م، وكانت هذه المجموعات النواة الأولى لحركة فتح ([43]).

---

[42] . المرجع نفس، ص365،366.

[43] ـ ينظر: أنور عبد الهادي وآخرون، الأحزاب والحركات الإسلامية في الوطن العربي، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق و2000, ص382.

ISSN : 2410-1818

وقد ساهمت كل الفصائل الفلسطينية كحزب البعث العربي الاشتراكي الذي تمخض عنه الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة، وحركة القوميين العرب التي نشأ عنها الجبهة الشعبية لتحرر فلسطين بقيادة جورج حبش، والحزب الشيوعي الفلسطيني، والإخوان المسلمون، وحزب التحرير، والاتحاد العام لطلبة فلسطين، والنقابات العمالية الفلسطينية، وغيرها في النضال الوطني للتصدي للمشروع الصهيوني في فلسطين، الذي تكلل بعد ثورة الحجارة عام 1987- 1992م، بالتوصل إلى اتفاق أوسلوا 1993م بين منظمة التحرير الفلسطينية، والكيان الصهيوني (الذي سنتطرق إليه في المواضيع القادمة).

3/2: المظهر العسكري

ويتجلى هذا المظهر في الانتفاضات الآتية:

1. انتفاضة موسم النبي موسى في القدس 1920م، حيث احتشد جمع غفير من العرب في القدس خطب فيهم الحاج موسى كاظم الحسيني، والحاج أمين الحسيني، وتطرقت هذه الانتفاضة إلى خطر الاستعمار وزيادة موجات الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وقد استمرت تلك الانتفاضة 10 أيام، ولم تنته إلاّ بفرض السلطات البريطانية للأحكام العرفية على مدينة القدس، حيث أسفرت هذه الانتفاضة عن مقتل خمسة يهود، وجرح 214 يهودياً، واستشهاد أربعة فلسطينيين، وجرح 24 من الفلسطينيين.

2- انتفاضة يافا مايو1921م، وقد وقعت عندما اعتدى مجموعة من المستوطنين على أحد المسلمين أثناء احتفالهم بعيد العمال، مما أدى إلى مهاجمة العرب لهم وقتل 13 صهيونياً، وجرح 24 منهم، وقد استمرت هذه الانتفاضة 16 يوماً، وعمت معظم المدن الفلسطينية، ثم اتسعت الاشتباكات لتغطي معظم أجزاء من شمال فلسطين حيث تسرب أفراد من العصابات اليهودية، وهم يلبسون اللباس العسكري البريطاني، وأخذوا يطلقون النار على العرب مما أداء إلى مهاجمة العرب لمستوطنة بتاح تكفا.

3- هبة البراق 24 أغسطس 1929م حاول اليهود تحويل حائط البراق إلى ما يشبه الكنيس اليهودي، ونظموا مظاهرات في القدس , ورفعوا العلم الصهيوني , وأنشدوا ترانيمهم، وشتم خطباؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكانوا يرددون" الحائط حائطنا" وقام المسلمون في اليوم التالي بمظاهرة مضادة أدت إلى مصادمات بين العرب، والمستوطنين، واستمرت هذه الهبة أسبوعين، وامتدت من القدس إلى الخليل, وصفد([44]).

1- التحيز البريطاني المكشوف لصالح الصهاينة، ومراوغة العرب للتنازل عن أرضهم.

2- بدائية وعفوية الأشكال النضالية العربية الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني، والاستيطان الصهيوني في حقبة العشرينات من القرن الماضي.

[44] . عبد القادر ياسين، موجز تاريخ فلسطين، ص688.

ISSN : 2410-1818

لم تكن الثورة العربية الكبرى وليدة يومها كما إنها لم تكن حلقة منفصلة عن أشكال الكفاح، والنضال العربي الفلسطيني منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918م، وحتى لحظة وقوعها. بل هي امتدادٌ طبيعيٌ لجهود الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، وتجسيد حيّ لتطور أساليبها، وتكتيكاتها العسكرية الفدائية في مواجهة الاستعمار البريطاني والاستيطان الصهيوني، وحصيلة كفاح الشعب العربي الفلسطيني لستة أعوام من الانتفاضات الشعبية التي مهدت الطريق إليها.

3/3: مقدمات الثورة العربية الكبرى

1- انتفاضة أكتوبر 1933م

في مطلع الثلاثينيات تزايدت معدلات الهجرات الاستيطانية الصهيونية إلى فلسطين، واتضح الدور البريطاني الأساسي في تشجيع تلك الهجرات، وتمكينها من الاستيطان، والإقامة الدائمة في فلسطين، وتأكد للعرب أن بريطانيا بيت الداء، وسبب البلاء، وأنها راعية المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، وأن النضال ينبغي أن يكون موجهاً إلى البريطانيين قبل الصهاينة.

وتنفيذا لهذا المسعى طالبت اللجنة التنفيذية العربية السلطات البريطانية بوقف الهجرة, ووقف منح الأراضي الفلسطينية للمستوطنين الصهاينة , ولما رفضت السلطات البريطانية قررت اللجنة التنفيذية تسيير المظاهرات دون إذن السلطات , ودعت في 13 أكتوبر 1933م إلى إضرابٍ عامٍ وتظاهرات كبرى في القدس , وألزمت اللجنة التنفيذية أعضائها بتقدم المسيرات والتظاهرات مما أدى إلى , وقوع مواجهات بين العرب , والقوات البريطانية أسفرت عن 11 جريحا ستة منهم من القوات البريطانية , وفي 27 أكتوبر عم الإضراب العام فلسطين كلها , وخرجت مظاهرات كبيرة في يافا بعد صلاة الجمعة بقيادة اللجنة التنفيذية العربية مما أدى إلى مواجهات عنيفة بين المتظاهرين والسلطات البريطانية التي أقدمت على اعتقال 12من القادة الفلسطينيين بينهم موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة , وضربته ضرباً مبرحا كان سبباً في وفاته في مارس 1934م ([45]) , و35 من رفاقه , فكانت تلك الحادثة مقدمة أولى للثورة الكبرى.

2- استشهاد عز الدين القسام([46])

تعتبر حركة عز الدين القسام من التجارب العربية الفلسطينية في النضال ضد الاستعمار البريطاني، والاستيطان الصهيوني، فقد انبثقت عن المؤتمر الإسلامي الأول الذي انعقد في القدس، وحضرته 22 دولة عربية عام 1931م مجموعة من الشباب الذين دربهم القسام على استخدام السلاح،

[45] . المرجع نفسه، ص277.

[46] ـــ ولد الشيخ عز الدين القسام في سوريا وهاجر ف شبابه إلى مصر لتلقي العلم حيث التحق بالأزهر وتتلمذ على يد الإمام محمد عبده، عاد إلى سوريا واشترك في ثورة على الصلح ضد الاستعمار الفرنسي مما أدى إلى الحكم عليه بالإعدام، خرج من سوريا واستقر في فلسطين خطيباً لمسجد حيفا، التي استشهد فيها على يد القوات البريطانية في 20 نوفمبر 1935م. ينظر: إبراهيم محمد وآخرون، الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية في الوطن العربي، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق , 2000م , 191/2.

ISSN : 2410-1818

وفي 1936/4/15م هاجمت جماعة القسام قافلة سيارات صهيونية قُرب طولكرم، وقتلت بعض ركابها من الصهاينة، والجيش البريطاني، وطوق الجيش البريطاني المنطقة، وتعقب القسام ورفاقه، وجرت بينهما اشتباكات استشهد القسام على إثرها.

3- التوسع الصهيوني في الفترة الممتدة بين 1920 ـ 1935م منحت بريطانيا المستوطنين الصهاينة (620) ألف دونماً من الأراضي الفلسطينية الصالحة للزراعة؛ وهو ما نسبته (55,5 %) من مجموع ارض فلسطين بعد أن كان الصهاينة غداة الاحتلال البريطاني لفلسطين لا يمتلكون سوى 6,5 من أرض فلسطين. الأمر الذي جعل العرب يشعرون بأن بريطانيا تتبع سياسة التغيير الجغرافي للخارطة الفلسطينية إلى جوار التغيير الديمغرافي للخارطة السكانية المتمثل بزيادة أعداد المستوطنين إلى فلسطين , وتهريب السلاح لهم إلى فلسطين بمساعدة بريطانية ([47]).

انطلقت الشرارة الأولى للثورة من حيفا في 14 من أبريل 1936م باستشهاد عز الدين القسّام , وسرعان ما انتقلت إلى يافا حيث دارت المواجهات بين العرب , وازداد الثوار ليصلوا إلى خمسة آلاف ثائر فلسطيني خلا الستة الأشهر الأولى من عمر الثورة معظمهم من الفلاحين , وقد حصلت الثورة في هذه المرحلة على تعزيزات ودعم من قبل الثوار العرب من سوريا والعراق وشرق الأردن , ولم تتوقف الثورة في هذه المرحلة إلاّ في 12 أكتوبر 1936م ,إثر النداء الذي وجهه ملوك الدول العربية السعودية والعراق وشرق الأردن لأهل فلسطين بـ" الإخلاد إلى السكينة حقناً للدماء , وعملاً بحسن نوايا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ومواصلة السعي في سبيل مساعدتكم " , بعد إعلانها في 18 مايو إرسال لجنة ملكية للتحقيق في أسباب الإضراب ورفع التوصيات لإزالة المظالم المشروعة ومنع تكرارها([48]).

1- أكدت للعرب أنها غير عازمة على إقامة دولة يهودية في فلسطين.

2- إقامة دولة جديدة بعد عشر سنوات يتقاسم فيها العرب مع الصهاينة المسئولية، ويكون لها سلطة يتولاها الطرفان.

3- تحديد الهجرة اليهودية خلال الخمس السنوات القادمة بعشرة ألف مهاجر فقط، ووقفها بحيث لا تتم إلاّ عن طريق موافقة العرب، وبشرط آلا يزيد عدد المهاجرين عن ثلث السكان.

4- رفض بيع الأراضي الفلسطينية للمستوطنين، إلاّ في مناطق محددة وبشروط أن لا تضر بالفلسطينيين؛ وبحسب رأي المندوب السامي البريطاني، وكانت حصيلة هذه المرحلة من الخسائر (3,5) مليون جنيه إسترليني جراء توقف السياحة والتجارة، وقتل من المستوطنين 80 ، وجرح 288 مستوطناً، وقتل من

[47] . غازي حسن، المشروع اليهودي من الاستعمار إلى الإمبريالية WWW.ALKOTTOB .COM، ص77.

[48] . ينظر : المرجع نفسه، ص282.

ISSN : 2410-1818

الجيش البريطاني 35 ، وجرح 164 ، فيما استشهد من العرب 193 شهيداً و803 جرحى، وبلغ عدد المنكوبين من العرب 300 ألف منهم 40 ألفاً من مدينة يافا وحدها([49]).

المرحلة الثانية: مرحلة التوقف (أكتوبر 1936-سبتمبر 1937م)

مثل هذا العام من عمر الثورة العربية الكبرى مرحلة توقف وهدنة شبه مؤقتة بانتظار تطبيق توصيات لجنة بيل ، ورؤية الوعود, والتطمينات البريطانية للعرب تتحقق على أرض الواقع, وفي نهاية المطاف رفعت لجنة بيل تقريراً مكوناً من أربعة آلاف صفحة؛ اقترحت من خلاله تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية في مناطق الجليل, ومرج عامر, وصفد, وطّبريّا, وبيّسان, وحيفا, وعكا, والساحل الغربي الممتد إلى تل أبيب, وتبقى القدس, وبيت لحم, ويافا تحت الانتداب, وتوحيد باقي أراضي فلسطين مع شرق الأردن كدولة عربية ([50])

المرحلة الثالثة: (سبتمبر 1937- سبتمبر 1939م)

كانت توصيات لجنة بيل مخيبة لآمال العرب، الأمر الذي قادهم إلى استئناف الثورة العربية الكبرى في آخر مراحلها, والتي بدأت باغتيال جماعة القسام للحاكم البريطاني في الجليل في 26 سبتمبر 1937م, مما دفع بريطانيا إلى استخدام القبضة الأمنية والشدة في الإجراءات المستخدمة ضد الثوار, فأصدرت قراراً بحل الهيئة العربية العليا, ونفي أعضائها إلى جزيرة سيشل , وإقالة الحاج أمين الحسيني من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى, وإقالته من مفتي القدس, الأمر الذي قاده إلى مغادرة فلسطين إلى لبنان , وقيادة العمليات الفدائية من لبنان, وقد حظيت الثورة في تلك المرحلة بدعم شعبيٍ هائلٍ قادها خلال صيف 1938م إلى السيطرة على مناطق واسعة من شمال فلسطين كنابلس والخليل وغيرها, مما دفع الحكومة البريطانية إلى إرسال التعزيزات العسكرية لإعادة اقتحام فلسطين قرية قرية, مستخدمة في ذلك أبشع وسائل البطش, والدمار, والعقاب الجماعي, ومستعينةً بكافة الوسائل الحديثة للجيش من مدافع ودبابات وطائرات, واستمرت هذه الحملة ما يقارب العام الكامل قامت القوات البريطانية باحتلال (2088) قرية؛ مما أصاب الثورة شيء من التراجع التدريجي نتيجة استشهاد الكثير من قادتها, ونفي البعض الآخر إلى أن انتهت في أواخر 1939م مع بداية الحرب العالمية الثانية, وكانت حصيلة هذه الثورة في مرحلتها الأخيرة (10595) عملية

على الرغم من أن هذه الثورة لم تتمكن من وقف الهجرات الصهيونية إلى فلسطين نتيجة عدم تكافؤ القوى بين العرب من جهة، وبريطانيا والمستوطنين من جهة أخرى للفارق الزمني، والإعداد الأمني للمشروع الصهيوني. إلاّ أن تلك الثورة , وما سبقها من انتفاضات عملت على تجذير الهوية العربية

[49] . المرجع نفسه، ص283.

[50] . المرجع نفسه، ص434.

ISSN : 2410-1818

الفلسطينية الدينية والقومية , ونمت مشاعر الوحدة والتآلف بين أبناء فلسطين , وأخذت تتشكل هوية فلسطينية على مستوى الشعور بالخصوصية إلى جانب الهوية العربية الإسلامية ([51]) .

3/4: أسباب نكبة 1948م

1- ضعف المقاومة الفلسطينية، وبدائية وسائلها وافتقارها للتنظيم والتدريب والدعم اللازم من قبل الدول العربية.

2- الركون إلى الصف العربي، والإسلامي الموحد، وهيئاته العربية التي لم تُفعل عملياً بحيث تقيم دولة فلسطينية أسوة بدولة الكيان الصهيوني سواء على التراب الفلسطيني كله أو بعضه حسب قرار التقسيم فما كان آنذاك متاحاً ربما لن يكن متاحاً لاحقاً.

3- الانقسام الفلسطيني، والانقسام الفلسطيني العربي حول وضع فلسطيني فبدأ الفلسطينيون لا يرضى بعضهم عن بعض، وبدأ العرب يبيع بعضهم بعضاً للصهيونية، والاستعمار.

4- تخاذل الأنظمة العربية أمام مواجهة العصابات الصهيونية حيث لم تدفع بأعداد هائلة من جيوشها في هذه الحرب فرجحت الكفة العددية التدريبية التكتيكية العملياتية لصالح العصابات الصهيونية حيث بلغ مجموع الجيوش العربية المشتركة في الحرب (73000) جندي عربي مقابل (233000) جندي صهيوني ([52]).

1- تهجير ما يقرب من (800000) فلسطيني من ديارهم قسراً ليتحولوا إلى لاجئين ممنوعين من حق العودة حتى اللحظة , وتضاعف عددهم من 1948م إلى أن وصل حتى مايو من العام 2014م إلى (1700000) مليون وسبعمائة ألف لاجئ فلسطيني ؛ أي حوالي (60%) من عدد سكان فلسطين أصبحوا لاجئين مبعدين عن ديارهم ([53]). أفلا يكون لهم الحق في العودة إلى أرضهم فلسطين فتصبح بالنسبة لهم أرض الميعاد كما كانت فلسطين بالنسبة للصهاينة؟

2- دمرت العصابات الصهيونية سنة 1948م (418) قرية وبلدة فلسطينية, وسلبت أراضي أهلها , واستولت على أراضي من هجروا قسراً عن طريق سن قانون أملاك الغائبين عام 1950م , والذي سلب الفلسطينيين ما يقرب من 87,55 من الأراضي, ومنحها للمستوطنين لتصبح نسبة الفلسطينيين 3,5 من الأراضي في مقابل 6,6 للمستوطنين؛ وهو ما يقدر بأربعة ملايين دونماً من أملاك الفلسطينيين في الأراضي المحتلة

---

[51] . ينظر: أشـرف صـقر أبو ندا، الهوية الفلسـطينية المتخيلة بين التطور والتازيم، مجلة المسـتقبل العربي، العدد (423)، مركز دراسات الوحدة العربية، مايو 2014م، ص85.

[52] . المرجع نفسه، ص290.291.

[53] . المرجع نفسه، ص296.

ISSN : 2410-1818

عام 1948م (النقب،وبئر السبع،والعراقيب) , وإحلال البلدات اليهودية محل البلدات الفلسطينية حيث جرى إخلاء (137) بلدة عربية وبناء (700) بلدة صهيونية([54]).

3- ارتكبت العصابات الصهيونية في 9 أغسطس 1948م التطهير العرقي في الأراضي التي احتلتها , ومنها مذبحة دير ياسين حيث مارست القتل الجماعي رمياً بالرصاص لأكثر من (250) شخصاً من الأطفال والنساء , والاغتصاب , ونهب الممتلكات , والتباهي إعلامياً فيما اقترفوه من جرائم الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين ناهيك عن اعتقال الفلسطينيين الذين نجوا من المجزرة؛ والطواف بهم عرايا لإحداث الرعب , ولإرهاب للفلسطينيين الآخرين فلا يفكرون بالمقاومة ([55]).

4- أدت النكبة إلى تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام الأول احتله الصهاينة, وهو أراضي 1948م (بيسان, عكا, يافا, بئر السبع, النقب, وحيفا, وصفد, وطبريا, والناصرة, واللد, والرملة, وعسقلان, ومجدل), والثاني الضفة الغربية, والثالث قطاع غزة, وخضعت الضفة الغربية للإدارة الأردنية, وخضع قطاع غزة سياسياً وإدارياً للقيادة المصرية, وبذلك تمايزت أنشطة الحركة الوطنية الفلسطينية في كفاحها ضد الاستيطان الصهيوني تبعاً لظروف كل قسم من هذه الأقسام الجغرافية, وبالمقابل أثر ذلك على الهوية الوطنية العربية الفلسطينية حيث كان لطرد الشعب الفلسطيني من أرضه , وتفتت المجتمع الفلسطيني إلى تجمعات سكانية متفرقة لا تواصل اجتماعيٌ ولا ثقافيٌ ولا سياسيٌ ولا اقتصاديٌ بينها وتسودها حالة من العجز , والشعور بالضياع , وعدم الأمن ناهيك عن الفقر والجوع, والخوف من المستقبل، مما جعلهم يتمسكون بالهوية القومية العربية الجامعة على حساب الهوية الوطنية الفلسطينية التي عاشت حالة من التقوقع في مناطق وجودها سواءً داخل فلسطين أو خارجها ([56]).

3/5: حرب 1956م (العدوان الثلاثي على مصر)

إثر هزيمة الجيوش العربية في حرب 1948م استشعرت الدول العربية الخطر الصهيوني خصوصا بعد أن التهم ثلثي مساحة فلسطين، ولم يتبق تحت السيطرة العربية إلاّ 23% من أرض فلسطين مقسمة إلى جزأين هما: الأول: الضفة الغربية ومساحتها (5878كم^2)؛ وبنسبة (21,77 %) من أرض فلسطين. والثاني: قطاع غزة، ومساحته (363كم^2)؛ وبنسبة (1,33 %) مُلئت بالجيوش العربية التي شرعت دولها بعمل الإجراءات الآتية:

---

[54] . مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (99)، معهد الدراسات الفلسطينية، بيروت، صيف 2014م، ص114،113.

[55] . مئة سؤال حول الصراع العربي الإسرائيلي، ص54،53.

[56] . ينظر: أشرف صقر أبو ندا، الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم، مجلة المستقبل العربي، العدد (423)، مركز دراسات الوحدة العربية، مايو 2014م , 86.

ISSN : 2410-1818

1- كسرت مصر وسوريا حظر بيع السلاح العسكري الغربي إلى الدول العربية، والذي أقامته بريطانيا، وأمريكا منذ الحرب العالمية الثانية، واستوردت السلاح من المعسكر الشرقي ممثلاً بتشيكوسلوفاكيا آنذاك.

2- قامت مصر عبد الناصر بتأميم قناة السويس، وتحويلها من شركة بريطانية فرنسية لا تملك فيها مصر سوى 10% من أسهمها، إلى شركة مساهمة مصرية 100%، وفرضت طوقاً أمنياً على خليج العقبة وميناء إيلات نافذة الصهاينة إلى شرق آسيا وشرق أفريقيا.

3- عقدت اتفاقية الدفاع المشترك بين الدول العربية في 13 أبريل 1955م، ومن ثم حلف بغداد في نفس العام.

4. رفضت مصر الدعم الغربي المشروط لإنشاء مجمع السد العالي، وعقدت اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لإنشاء هذا المشروع الحيوي لتوليد الطاقة في مصر.

5- دعمت مصر العمليات الفدائية للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة , وكثفت من نشاطها ضد الكيان الصهيوني ([57]) .

رأت الدول الاستعمارية فرنسا , وبريطانيا , والكيان الصهيوني في هذه الإجراءات تهديداً مباشراً لمصالحها , وإعلاناً لحالة الحرب عليها من قبل مصر , وسوريا , واتفقت هذه الدول على توجيه ضربة عسكرية لمصر فعقدت هذه الدول اجتماعاً ثلاثياً في مدينة سيفر الفرنسية في 23 أكتوبر 1956م لتدارس خطة الحرب , وإعلان ساعة الصفر الذي كان في 29 أكتوبر 1956م بقيام الكيان الصهيوني بإنزال جوي بمساعدة القوات الفرنسية , والبريطانية له في صحراء سيناء المصرية , وأعلنت الحرب على مصر من قبل الثلاث الدول , وقد سميت هذه الحرب (العدوان الثلاثي على مصر) , وتقدمت الجيوش الثلاثة فاحتلت قطاع غزة , وجزء من سيناء , وصدر قرار الأمم المتحدة في 2 نوفمبر 1956م يطالب الدول المعتدية بالهدنة , والانسحاب من الأراضي المصرية إلى ما وراء خط الهدنة غير أن الدول الثلاث لم تستجب لقرار الأمم المتحدة بوقف الحرب إلاّ بضغط الاتحاد السوفيتي , وأمريكا عليهما , وأوقفت الحرب , وقد خسر العرب قطاع غزة , وجزء من سيناء , وضم الأردن والضفة الغربية إليه. وأياً كانت الخسارة في تلك الحرب فإن العرب قد قدموا ما يمكن تقديمه , وأدركوا أنهم لا يحاربون الكيان الصهيوني وحده ؛ وإنما يحاربون قوى الاستعمار , والرأسمالية الإمبريالية في العصر الحديث([58]).

3/6: حرب 1967م (النكسة)

بعد العدوان الثلاثي على مصر شعر الكيان الصهيوني أن عليه أن يؤمن انتصاراته في الحروب السابقة، وذلك من خلال إتباع استراتيجية عسكرية تقوم على محورين. الأول: وأد الحركة الوطنية

[57] . محسن صالح، فلسطين، ص297.

[58] . المرجع نفسه، ص298.

ISSN : 2410-1818

الفلسطينية في الداخل بعد أن انتقلت من الطور العربي الإسلامي إلى الطور الوطني الفلسطيني بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م. والمحور الثاني : السيطرة على أكبر قدر من الأراضي العربية غير الفلسطينية لتأمين الأراضي المحتلة عام 1948م و1956م , ومواجهة أشكال العمل العربي المشترك على الصعيد السياسي والعسكري , والمتمثل بتشكيل قيادة عربية موحدة للجيوش العربية المشتركة في فلسطين , وجر العرب إلى حرب استباقية لرسم حدود الكيان الصهيوني الجغرافية والسياسية , وتعطيل القيادة المشتركة للجيوش العربية ([59]) .

نتائج حرب 1967م

1. احتل الكيان الصهيوني ما تبقى من قطاع غزة، والضفة الغربية، والقدس الشرقية، وشبه جزيرة سيناء المصرية (61198كم^2)، والجولان السورية (1150كم^2) ليصبح مجموع الأراضي التي سيطر عليها الكيان الصهيوني (89395كم2).

2- تشريد ما يربو على (330) ألف فلسطيني وفرض الاحتلال على الأراضي الجديدة، مما جعل العرب ينتقلون من هدف تحرير فلسطين كلها إلى تحرير الأراضي المحتلة عام 1967م.

3- سيطر الكيان الصهيوني على مياه نهر الأردن، وفتح خليج العقبة أمام الملاحة الدولية.

4. نشوء منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، وإبراز الهوية الوطنية الفلسطينية، وانتقالها من الطور العربي الإسلامي إلى الطور الوطني الفلسطيني على يد ياسر عرفات.

5. شعر الصهاينة أن ما حققوه من انتصار يرجع إلى تمسكهم بمبادئهم الدينية فقد صوروا لليهود أن قيام دولتهم على أرض فلسطين هي بمثابة رسالة دينية تحققت بفضل الأساطير الصهيونية التي اعتبروها مبادئ دينية عقائدية ينبغي العودة إليها، وبالمقابل شعر العرب، والمسلمون أن تلك النكسة دلالة على فشل المشروع القومي مما أفسح المجال لإعادة طرح المشروع الإسلامي كعنوان للتحرر من الصهيونية والاستعمار، فأدى ذلك إلى ظهور الجماعات الأصولية الإسلامية في ساحة الصراع العربي الإسرائيلي.

3/7: حرب أكتوبر 1973م حرب الاستنزاف

كان العرب مجتمعين قد تلقوا خسارة فادحة في حرب 1967م حتى سموها "النكسة" فمن الطبيعي أن يغيروا استراتيجيتهم القتالية , ويكونوا هذه المرة سباقين إلى الحرب , بعد أن كانوا خلال خمسين عاماً من الحرب ضد بريطانيا , والكيان الصهيوني يعتمدون الاستراتيجية الدفاعية حيث شكلت القيادتان المصرية , والسورية " المجلس الأعلى للقوات المصرية السورية المشتركة " , وفي 25 فبراير 1973م اجتمع الرأيان المصري والسوري في برج العرب بالإسكندرية لوضع خطة الحرب التي أسموها " بدر" , وأقروا موعدها في العاشر من رمضان الموافق 6 أكتوبر 1973م ([60]).

---

[59] . المرجع نفسه، ص300.

[60] . المرجع نفسه، ص305.

ISSN : 2410-1818

نتائج حرب 1973م

1- كسر العرب أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر، وتحطيم نظريته الأمنية، وإثبات إمكانية استعادة الأرض المحتلة إذا توفرت الإرادة العربية.

2- انتقل العرب من الدفاع إلى الهجوم فاستأثروا بزمام المبادرة فاثبتوا كفاءة المقاتلين العرب عند الضرورة.

3- تحقيق قدر عالٍ من التضامن العربي من خلال المشاركة، والدعم للجيوش العربية من قبل غالبية الدول العربية.

4. إعادة الثقة بالنفس إلى الشارع العربي، وارتفاع المعنويات العربية بعد الهزائم المتلاحقة التي تلقاها العرب خلال الحقب الأولى من القرن العشرين.

5. انتقال المبادرة العسكرية من يد الجيوش العربية إلى يد منظمة التحرير الفلسطينية.

3/8: حرب 1982م

وفي 12 أغسطس 1982م أوقف الكيان الصهيوني الحرب بعد أن قتل من المدنيين الفلسطينيين , واللبنانيين ما يربو على 3500 شهيد , وخرج حوالي 11 ألف مقاتل فلسطيني من بيروت , إلى مصر وسوريا , واليمن(بشطريها) , وتونس , والسودان , وليبيا , والجزائر بعد أن استشهد من المقاتلين الفلسطينيين حوالي 55 ألف مقاتل , وقد تُركت المقاومة الفلسطينية , واللبنانية في هذه الحرب وحدهما دون دعم من الدول العربية اللهم بعض المتطوعين غير المدربين الذين كانوا يذهبون لنصرة إخوانهم الفلسطينيين , واللبنانيين , وقد وجدت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها بعد الحرب مبعدةً من لبنان , ومن العمل العسكري , والفدائي في جميع دول الطوق ([61]).

ترك خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان فراغاً في مواجهة الكيان الصهيوني عملت المقاومة اللبنانية ممثلة بحزب الله وحركة أمل على ملئه، مما حول جنوب لبنان إلى ساحة حرب يومية، متواصلة إلى أن أجبرت الكيان الصهيوني على الانسحاب من جنوب لبنان عام 2000م فضربت أروع الأمثلة في مواجهة الجيش الصهيوني , وهزيمته , ولا تزال المواجهة مستمرة حتى تحرير مزارع شبعة اللبنانية , وتحرير فلسطين ([62]).

لقي الجيش الصهيوني في هذه الحرب مقاومة شديدة في جنوب لبنان , وتصعيد للعمليات الفدائية في الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى درجة أدت إلى رفض الصهاينة للخدمة في الجيش الصهيوني حيث قدم خمسون ضابطاً في الجيش الصهيوني عريضة يعربون فيها عن رفضهم للخدمة في الجيش الصهيوني

[61] . المرجع نفسه، ص320.

[62] . المرجع نفسه، ص321.

ISSN : 2410-1818

, نتيجة شدة القتال , والمعارك في الجنوب اللبناني رغم اعترافهم في مقدمة العريضة بأنهم صهاينة , ومن المحبين للدولة الصهيونية ([63]).

وضِعَت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بعد هذه الحرب أمام خيارين إما الركون إلى الدول العربية لحل القضية الفلسطينية , والكف عن العمل الفدائي في الداخل , والخارج خصوصاً وبعضها قد عقد اتفاقيات سلام مع الكيان الصهيوني كمصر , والأردن , وسوريا , أو الاعتماد على النفس , والتحول من العمل الفدائي إلى العمل السياسي , وقد رجحت قيادة المنظمة الخيار الثاني مع بقاء العمل الفدائي في الداخل لدعم العمل السياسي في الخارج فدعت إلى ثورة الحجارة عام 1987م وأعلنت قيام الدولة الفلسطينية بعدها بعام , وشرعت بعدها في مفاوضات سرية مع الكيان الصهيوني بوساطة نرويجية , وموافقة أمريكية أوروبية روسية انتهت بتوقيع اتفاقية أوسلو 1993م، الأرض مقابل السلام، فحضي الفلسطينيون بسلطة ذات حكم ذاتي في مدينتي غزة في القطاع, وأريحا في الضفة الغربية مقابل الاعتراف بدولة الكيان الصهيوني على أراضي 1948م .

اعتبرت الفصائل الإسلامية هذا الاتفاق استسلاماً من المنظمة للكيان الصهيوني، وتراجعاً عن الميثاق الوطني الفلسطيني المعلن عام 1964م، وتأسست على إثر ذلك الاتفاق حركة المقاومة الإسلامية حماس 1993م، لتتقاسم الساحة الفلسطينية إلى جوار السلطة الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

3/9: الحرب الأخيرة على غزه 2014م

كان من نتائج اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية، والكيان الصهيوني الذي بُدأت في 20 فبراير 1993م بمحادثات سرية في النرويج وانتهت بالتوقيع عليه في واشنطن في 13سبتمبر 1993م، والذي نص على:

1. إقامة سلطة فلسطينية ذات حكم ذاتي في الضفة الغربية، وقطاع غزة لمدة خمس سنوات تؤدي إلى تسوية دائمة للصراع الفلسطيني الصهيوني.
2. خلال شهر من الاتفاق يتفق الطرفان حول انسحاب إسرائيل من غزة وأريحا.
3. بعد تسعة أشهر تجرى انتخابات فلسطينية لانتخاب مجلس للحكم الذاتي تشمل الضفة وغزة.
4. يكون لإسرائيل حق النقض الفيتو لأي تشريعات فلسطينية تصدرها السلطة الفلسطينية خلال المرحلة الانتقالية.
5. تترك منظمة التحرير الفلسطينية العمل الفدائي المسلح وتنخرط في عمل سياسي سلمي ضد إسرائيل.

كان هذا الاتفاق قد قسم الصف الفلسطيني إلى قسمين قسم يؤيد الاتفاق وهو منظمة التحرير الفلسطينية، وقسم وجد فيه تراجعاً عن الثوابت الوطنية، والإسلامية، ومنهم حركة المقاومة الإسلامية

[63] . عبد الوهاب المسيري، من الانتفاضة إلى حروب التحرير، ص34. www.alkottob.com

ISSN : 2410-1818

حماس([64]) التي انسحبت من المفاوضات السرية في أوسلوا بعد أشهر من بدايتها إذ أخذت على الاتفاق اعترافه بحق إسرائيل في 77 % من الأراضي الفلسطينية، وعدم تضمنه لحل جذري لمسألة القدس، واللاجئين، والمستوطنات، والمعابر الحدودية، وهي القضايا التي تمثل حجر الأساس في التفاوض الفلسطيني الإسرائيلي الآن ([65]).

في إطار المفاوضات كان يفترض أن تطلق إسرائيل الدفعة (14) من الأسرى الفلسطينيين، وتظم (26) أسيراً مقابل عدم توجه الفلسطينيين إلى المؤسسات الدولية لطلب الاعتراف الدولي بالدولة الفلسطينية، واستئناف المفاوضات فاشترط الكيان الصهيوني استئناف المفاوضات في أبريل 2014م أولاً، ومن ثم إطلاق الأسرى، ورفض الفلسطينيون ذلك وتوجهوا إلى المنظمة الدولية , وفي 23 أبريل أبرمت منظمة التحرير الفلسطينية , وحركة حماس اتفاقاً للمصالحة الوطنية , وتشكيل حكومة وفاق وطني , وبعد عشرة أيام أعلن الكيان الصهيوني عن اختفاء ثلاثة من المستوطنين الصهاينة , وفي 30 يونيو عُثر على جثثهم قرب مدينة حلحول فأطلق الكيان الصهيوني الحرب على القطاع , والضفة الغربية باعتقالات , ومداهمات واسعة أدت إلى خطف الطفل محمد أبو الخضر من مخيم شعفاط , وقتله ثم حرقه, وردت حماس بإطلاق صواريخ على المستوطنات الصهيونية, وشن الكيان الصهيوني حرباً واسعةً على القطاع استمرت 51 يوماً مورس خلالها إرهاب الدولة, وتبن الوجه القبيح للكيان الصهيوني الاستيطاني ([66]).

2014م تلك المفاوضات عند **المطالب الفلسطينية الآتية:**

1. إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة على حدود الرابع من حزيران 1967م (الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية) تكون عاصمتها القدس الشريف.
2. عودة جميع اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم المحتلة عام 1948م، وعام 1967م.
3. الإفراج عن جميع الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال ([67]).

---

[64] . هي امتداد لحركة الإخوان المسلمين وحزب التحرير الفلسطيني الذي تأسس عام 1953م، وقد تأسست عقب الانتفاضة الفلسطينية في الأول من ديسمبر 1987م. ينظر: أنور عبد الهادي، الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية , 390/1.

[65] . ينظر: محسن صالح، دراسات في القضية الفلسطينية، ص474.

[66] . ينظر: مجموعة من الباحثين، حال الأمة العربية 2014ـــــ2015م من تغيير النظم إلى تفكيك الدول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت , 1015م، ص499.

[67] . جمال زهران وآخرون، حال الأمة العربية 2014ـ2015م، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت , 2015م، ص490ـ492.

ISSN : 2410-1818

وبالمقابل يطالب الكيان الصهيوني من الفلسطينيين المطالب الآتية:

1. اعترافٌ فلسطينيٌ بيهودية الدولة الصهيونية المحتلة بحدودها الحالية مقابل دولة فلسطينية منزوعة السلاح في مناطق الحكم الذاتي الفلسطينية الحالية (غزة وأريحا) دون أن تكون لها حدود برية مشتركة.

2. القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني، وعدم الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم، وان كان من تسوية للعودة فيكون إلى أراضي السلطة الفلسطينية، ولا حقوق أو تعويضات لهم

3- الاعتراف العربي بالرواية الصهيونية للحقوق التاريخية لليهود في فلسطين التي ترفض قرار التقسيم رقم (181) الذي كان يرفضه العرب فيما مضى وباتوا يقبلونه الآن ويرفضه الكيان الصهيوني.

4. الاحتفاظ بالسيادة الجوية , والبرية , وبمنطقة غور الأردن , وبناء المستوطنات , والقدس تحت السيادة الصهيونية , وحق وضع أجهزة الإنذار المبكر فوق تلال الضفة الغربية ([68]) .

وكلما تعثرت المفاوضات بين الجانبين بادرت لإدارة الأمريكية، والاتحاد الأوربي في زحزحتها باتجاه الحل النهائي الذي قد يطول في ظل الاستيطان الصهيوني المستمر في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويظل العرب، والفلسطينيون يبحثون عن الحل من الخارج، ويعلقون الآمال عليه تماماً كما كانوا يعلقون الآمال على بريطانيا قبل النكبة؛ كي تمنحهم الاستقلال، وتوقف لهم التهجير، وتمنع عنهم قيام الكيان الصهيوني! فمن غير الوارد أن تتخلى أمريكا، والاتحاد الأوروبي عن الكيان الصهيوني، فهل آن الأوان للفلسطينيين، والعرب أن يفقهوا هذه الحقيقة؟! ويقرأوا التاريخ قراءة دقيقة؟

في ظل توسع حركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة , وتهويد القدس , والخليل , ومحاولة طمس الهوية العربية , والإسلامية لهاتين المدينتين خاصة وفلسطين عامة , عن طريق التحكم في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية , والاجتماعية , والتعليمية , والثقافية الفكرية عن طريق إعادة صياغة المناهج الفلسطينية في القدس الشرقية من خلال إلغاء منظومة القوانين التعليمية العربية , ووضع المدارس العربية تحت سيطرة وزارة المعارف الصهيونية , وقوانينها منذ 1968م التي تخول الحاكم العسكري الصهيوني الإشراف المالي والإداري والتعليمي على المناهج التعليمية للمدارس العربية وشطب أي عبارة تشير إلى الحركة الصهيونية العالمية , أو تتطرق للنكبة أو النكسة أو المجتمع العربي الفلسطيني ومجازر الاحتلال , وإغلاق مكتب التربية والتعليم العربي في محافظة القدس , و42 مدرسة تابعة له مما أدى إلى

[68] . مهند مصطفى، الاستراتيجية الإسرائيلية التفاوضية (2009ـــ2014م) نصف تسوية ونصف مصالحة، المجلة العربية للعلوم السياسية , 2015م، ص162.161.

ISSN : 2410-1818

ازدياد التسرب بين الطلاب الفلسطينيين بواقع 50% , وانتشار ظواهر تعاطي الكحول , والمخدرات بنسبة 55% بين أوساط الشباب الفلسطينيين في القدس الشرقية([69]).

وعلاوة على ذلك فأوضاع الفلسطينيين الاجتماعية تعكس بشاعة الاحتلال الصهيوني , وإرهابيته حيث يبلغ عدد الفلسطينيين اليوم 12,1 مليون نسمة , منهم 4,12 مليون نسمة في الضفة الغربية وقطاع , ونحو 1,48 مليون نسمة في الأراضي المحتلة عام 1948م , وما يربو على 5,34 مليون نسمة مهجرين في البلدان العربية , و675 إلف نسمة في البلدان الأجنبية ([70]).وما زال العرب والفلسطينيون يقدمون أشكال جمة في مواجهة الصلف الصهيوني , وفي الوقت نفسه يتحدثون عن فرص للتسوية مع هذا الكيان الغاصب , وحينما لا تتحقق التسوية يتوجهون إلى المجتمع الدولي كما عمل رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس عام 2014م حين توجه إلى الأمم المتحدة طالباً منها إصدار قرار فوري بإنهاء الاحتلال الصهيوني لفلسطين خلال 2017م , والاعتراف بالدولة الفلسطينية , وقد حصد عباس من ذلك اعتراف 135 دولة بالسلطة الفلسطينية كدولة على حدود 1967م وكعضو مراقب في الأمم المتحدة , واعتراف بعض البرلمانات الأوربية بالسلطة الفلسطينية في أراضي الحكم الذاتي , واعترضت أمريكا واستخدمت حق النقض الفيتو ضد مشروع قرار تقدمت به المجموعة العربية يدعو إلى الاعتراف بالدولة الفلسطينية كدولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة ([71]), فأي فرص للتسوية بعد ذلك؟.

يؤكد كاترين تشارلستون على أن هدف الكيان الصهيوني على المدى الطويل هو تقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية المحتلة , وعزل بلداتها , وقراها , وحصارها , والحيلولة دون قيام دولة فلسطينية قابلة للحياة , وأن مفاوضات السلام لا تهدف إلى إقامة دولة فلسطينية , بل إلى كسب الوقت بهدف استكمال الاستيطان على الدوام للوصول إلى تطبيع مجاني مع الجانب الفلسطيني , وهذا ما سعى إليه الكيان الصهيوني على الدوام لإضفاء شرعية على احتلاله لفلسطين ([72]) .

وأمام هذا الوضع تسعى المقاومة الفلسطينية إلى تقديم شتى صنوف المقاومة ضد المشروع الاستيطاني الصهيوني , بالسلاح , والكلمة , والرأي , وجعل المقاومة فعل يومي يتمثل بالتمسك بالأرض والمسكن ومستلزمات العيش ومواجهة مخاطر القمع الصهيوني الذي لا يخلو من القتل والقمع والإرهاب ومصادرة الأرضي وجرف المنازل والمحاصيل , وتشريد النساء والأطفال , وكان بقاء الفلسطينيين في أرضهم دون تركها والتمسك بها أضعف الإيمان , وأحد أشكال المقاومة السلمية التي تجاوز عمرها

---

[69] . ينظر: نادية سعد الدين البعدان التعليمي والاقتصادي في المشروع الصهيوني ضد القدس المحتلة، المستقبل العربي، العدد (447)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت , 2016م، ص53.

[70] . جمال زهران، حال الأمة العربية، ص478.

[71] . المرجع نفسه، ص508.510.

[72] . كابي خوري، تقارير بحثية، المستقبل العربي، العدد (378) , 2010/8م، ص190.

ISSN : 2410-1818

130 عاماً قدمت خلاله هذا العمر أروع الأمثلة في تأكيدها على احترام الأديان السماوية , والسعي إلى إنشاء مجتمع مدني فلسطيني ديمقراطي يعمل على وقف المشروع الصهيوني لإحلال شعب مستعمر محل شعب متمسك بأرضه , وقد كانت آخر صور المقاومة الفلسطينية الشعبية هي إطلاق دعوة من قبل ناشطين فلسطينيين على شبكة التواصل الاجتماعي للعودة إلى فلسطين في مايو 2011م تجاوب معها الآلاف من الفلسطينيين([73]).

ولم يكن ذلك , وحده فحسب بل أن أشكال المقاومة الفلسطينية تتجدد يوما بعد يوم , وتجد لها الأساليب المناسبة لطبيعة النشاط الصهيوني الاستيطاني المتنامي في فلسطين , ومنها إنشاء حركة المقاطعة للكيان الصهيوني في فلسطين والتي تهدف إلى سحب الاستثمارات , وفرض العقوبات الدولية على الكيان الصهيوني , وهي شكل من أشكال المقاومة الفلسطينية أبتكرها الفلسطينيون حديثاً , وتعتمد على الجهود الطوعية , والمبدعة للأفراد , والمؤسسات المؤيدة لحقوق الإنسان , وإعلاء شأن القانون الدولي ([74]) .

لقد حمل الفلسطينيون وطنهم فلسطين في قلوبهم , وأفئدتهم في صحوتهم , وفي وسنهم , ولم تكن قضية فلسطين هاجس الساسة , ورجال الفكر فحسب بل ضرب الأدباء والشعراء الفلسطينيون والعرب أروع الأمثلة في الوفاء للقضية الفلسطينية باعتبارها قضية هوية عند محمد درويش , وسميح القاسم , وغسان كنفاني , ومعين بسيسو , وفدوى طوقان , وغيرهم من شعراء وأدباء فلسطين , فإن كان ياسر عرفات قد خطب في الأمم المتحدة عام 1988م قائلاً: لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي ـ في إشارة للقضية الفلسطينية ـ فإن قصيدة محمود درويش (سجل أنا عربي) (ورقم بطاقتي تسعون ألفاً) , وريشة ناجي العلي ؛ لا تقل أهميةً عن خطاب ياسر .

المحور الرابع: الممانعة العربية الإسلامية

4/1: -الإطار العربي والإسلامي

منذ أواخر القرن التاسع عشر تعرض الوطن العربي والإسلامي للاستعمار الأوروبي البريطاني , والفرنسي , والايطالي , والبلجيكي , ومنذ 1918م احتلت فلسطين , وبلاد الشام من قبل بريطانيا وفرنسا , واعتبرت من حينها قضية فلسطين قضية عربية في إطار التحرر والوحدة العربية , ورفع العرب شعار " الوحدة طريق التحرير " , وخاضت الحكومات العربية في سبيل ذلك خمسة حروب ضد الكيان الصهيوني، سبق الإشارة إليها, ودعمت القضية الفلسطينية ؛ وهيأت الظروف لانتقال القضية الفلسطينية من الطور العربي إلى الطور الوطني الفلسطيني , وتغيير طريق التحرر وشعاره من " الوحدة طريق التحرير إلى التحرير طريق الوحدة " , وحافظت على هوية الفلسطينيين بعد النكبة فلم تسمح

[73] . المرجع نفسه، ص205،204.

[74] . ينظر: عمر البرغوثي، حركة مقاطعة إسرائيل (bds)، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (99)، صيف 2014م، ص20.

ISSN : 2410-1818

الدول العربية بدمج الفلسطينيين الذين هُجروا قسراً إليها , معارضة بذلك المشروع ألأممي للأمين العام للأمم المتحدة همر شولد لتوطين اللاجئين الفلسطينيين عام 1949م في البلدان العربية المجاورة ([75]) .

وفي مختلف محطات النضال الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني كان الشارع العربي والإسلامي من جاكرتا إلى طهران، ومن بغداد إلى مراكش يشارك الشارع العربي الهم النضالي الفلسطيني، ودعم القضية الفلسطينية، وبلورة العديد من أساليب **الدعم العربي الشعبي للقضية الفلسطينية**، والمتمثلة بالأساليب الآتية:

1. المظاهرات والاحتجاجات المنددة بالجرائم الصهيونية , والتي تطالب الحكومات العربية والإسلامية باتخاذ القرارات الحازمة ضد الكيان الصهيوني , وسياسته الاستيطانية التوسعية في فلسطين كما حدث في مظاهرات 1974م التي ضغطت على الجامعة العربية لاتخاذ القرار الذي اعتبر الصهيونية شكل من أشكال التمييز والفصل العنصري (الابارثايد)([76]).

2-التضامن العربي الإسلامي مع الفلسطينيين عن طريق إرسال المتطوعين للقتال إلى جانب الفلسطينيين واللبنانيين عقب اجتياح الكيان الصهيوني لجنوب لبنان في 1978م والمشاركة في حرب 1982م إلى جوار منظمة التحرير والمقاومة اللبنانية ([77]).

3-استقبال الفدائيين الفلسطينيين عام 1982م عقب القرار ألأممي والعربي القاضي بانسحابهم من جنوب لبنان كشرطٍ لوقف الحرب، إذ استقبلتهم الدول العربية العراق، وسوريا، واليمن، والإمارات، والكويت، ومنحتهم المعسكرات اللازمة لتدريبهم؛ وإعدادهم للعمل الفدائي، واستيعاب المدنيين منهم في السلك الوظيفي ومعاملتهم المعاملة الحسنة.

4. الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني، وتقديم الدعم السياسي والشعبي، وفتح مكاتب لها في مختلف الدول العربية والإسلامية وتحولت فيما بعد عام 1994م إلى سفارات لدولة فلسطين

5-التنديد، والإدانة والاستنكار الرسمي والشعبي للقرارات الدولية التي تؤيد الكيان الصهيوني كالقرار رقم (181) القاضي بتقسيم فلسطين بين العرب، والصهاينة، والتنديد بجرائم الإرهاب الصهيوني الرامية إلى التوسع الصهيوني في فلسطين، والدعم والتأييد للقرارات الأممية المؤيدة لحقوق

---

[75] . ينظر: عبد القادر ياسين، موجز تاريخ فلسطين , 726.

[76] . الابارثايد: نظام التمييز العنصري على أساس اللون أو الدين أو العرق أو الجنس وقد شاع في جنوب أفريقيا حتى 1990م. ينظر: جورج قرم، العروبة وصناعة التاريخ، المستقبل العربي، العدد (379)، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر 2010م، ص90.

[77] . عبد القادر ياسين، موجز تاريخ فلسطين، ص719.

ISSN : 2410-1818

الشعب الفلسطيني كالقرار رقم (194) القاضي بعودة اللاجئين عام 1948م، والقرار رقم (242) القاضي بانسحاب القوات الصهيونية من الأراضي المحتلة عام 1967م.

6. التضامن الشعبي العربي والنضال ضد تهويد القدس خاصة وفلسطين عامة , ومن مظاهره الاحتفال بيوم الأرض في 1973/6/30م , والذي غدا تقليداً سنوياً يحتفل به الفلسطينيون , والعرب , والمسلمون كدليل رمز ارتباط الإنسان الفلسطيني والعربي بأرضه , والاحتفال بيوم القدس في آخر جمعة من شهر رمضان ؛ والذي أسسه الأمام الخميني عام 1979م عقب نجاح الثورة الإسلامية في إيران([78]) , والذي تزامن هذا العام 1437هـ مع الانتهاء من إعداد مقرر الصراع العربي الصهيوني الذي سيدرس في الجامعات اليمنية الحكومية , والأهلية كمقرر إجباري اعتبارا من بداية العام الجامعي 2017/2016م بحسب القرار الوزاري رقم (89) لسنة 2016م .

7. إنشاء لجان عربية وإسلامية لحماية القدس , والدفاع عنها منذ لجنة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس 1932م , وآخرها لجنة الدفاع عن القدس والأقصى الشريف عام 1994م عندما أقتحم رئيس وزراء الكيان الصهيوني أيريل شارون , وجنوده ساحة الأقصى , وأعقبتها الانتفاضة الفلسطينية المسماة انتفاضة الأقصى 2000م , وتعقد هذه اللجنة اجتماعاً عربياً إسلامياً سنوياً لتدارس الانتهاكات التي يتعرض لها الأقصى والأماكن المقدسة في فلسطين , وترفع تقريرها السنوي إلى منظمة المؤتمر الإسلامي , وقد عقدت دورتها الاعتيادية العشرين في العاصمة الموريتانية مراكش , وأكدت في ختام دورتها على مركزية القضية الفلسطينية , والقدس , ومقاومة المشاريع الصهيونية الرامية إلى تهويد فلسطين عامة , والقدس خاصة , والتأكيد على أن القدس عاصمة أبدية للدولة العربية الفلسطينية ([79]).

8. تأسيس العديد من الجمعيات الخيرية , والاتحادات الإبداعية العربية , والإسلامية في العديد من الدول العربية والإسلامية لدعم القضية الفلسطينية , والأقصى الشريف بالتبرعات , والهبات الخيرية في أوقات الحرب والسلم ودعم الأسر الفلسطينية المتضررة جراء المواجهات مع العدو الصهيوني في كافة محطات المواجهة منذ الحروب العربية ضد الكيان الصهيوني مروراً بانتفاضة الحجارة عام 1987م , والانتفاضة الفلسطينية عام 1994م , وانتفاضة الأقصى عام 2000م , وتعد هذه الإسهامات في سجل النضال العربي الإسلامي في التصدي للمشروع الصهيوني .

9. إنشاء المراكز البحثية العلمية , والأكاديمية التي تقدم الندوات , والدراسات العلمية والبحثية المتخصصة بالشأن الفلسطيني , والصراع العربي الصهيوني , والتي تمد أصحاب القرار , والهيئات السياسية في الوطن العربي والإسلامي بالحقائق والمعلومات ؛ والأرقام اللازمة عن مخاطر المشروع

---

[78] . ينظر: أحمد الموصلي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت , 2004م، ص214.

[79] . كابي خوري، يوميات عربية، المستقبل العربي، العدد (421)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، مارس 2014م، ص269.

ISSN : 2410-1818

الصهيوني على مختلف الأصعدة , وعن الوسائل والأساليب الناجعة في مواجهته , ومن المراكز الرائدة في هذا المجال , مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الذي تأسس عام 1978م , والمركز العربي للدراسات الاستراتيجية دمشق عام 1991م , ومركز القدس للدراسات الفلسطينية بيروت , ومركز فلسطين للأبحاث والدراسات الاستراتيجية , ومركز بيروت للدراسات الفلسطينية وغيرها من المراكز المتخصصة في هذا الشأن في العديد من العواصم العربية والإسلامية , وتعمل هذه المراكز على تبني مشروعٍ نهوضيٍ في مواجهة المشروع الصهيوني , وفضح سياساته الاستيطانية في المحافل الثقافية العربية الدولية والإقليمية , والتأكيد على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني , وضرورة اليقظة في مواجهة المشروع الصهيوني .

10- المنظمات والتجمعات والمؤتمرات العربية والإسلامية التي تعمل على تكريس الهوية الفلسطينية والعربية والإسلامية في مواجهة المشروع الصهيوني الرامي إلى طمس الهوية الفلسطينية والعربية الإسلامية، ومن هذه المنظمات منظمة المؤتمر الإسلامي التي تأسست عام 1975م، والمؤتمر القومي العربي، والمؤتمر القومي الإسلامي الذي يسعى إلى توحيد الاتجاهين القومي والإسلامي للتصدي للمشروع الصهيوني، وقد أكد في المؤتمر العام في دورته السادسة والأخيرة المنعقدة في بيروت في الفترة من 16-17 نوفمبر 2015م على القضايا الآتية:

1. اليقظة العربية عامة والفلسطينية واللبنانية خاصة لمخططات العدو الصهيوني، ودعوة فصائل المقاومة للحوار والوحدة ورص الصفوف، ونبذ الفرقة والانقسام لما لها من آثار سلبية على مقاومة المشروع الصهيوني ودعوة جميع الفصائل الفلسطينية لتبني خيار المقاومة المسلحة تنفيذا لقرار المجلس الوطني الفلسطيني في مارس 2015م.

2. إدانة استمرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والدعوة لاستمرار المقاومة لمواجهة مشاريع الاستيطان والتهويد في فلسطين وتشكيل لجان للوحدة والإجماع الوطني في الداخل والخارج.

3. التلاحم العربي الإسلامي وتقوية أواصر الوحدة العربية الإسلامية لمواجهة المشروع الصهيوني والتمسك بوحدة التراب الفلسطيني كاملاً من البحر إلى النهر، وهو الطريق الوحيد لاستعادة الحقوق الفلسطينية المنهوبة، بما فيها الحق في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة على كامل التراب الفلسطيني، وعودة اللاجئين إلى ديارهم، والتمسك باستراتيجية المقاومة لنيل هذه الحقوق وميثاق العمل الفلسطيني عام 1964م , 1968م.

4. اتخاذ إجراءات عربية رسمية وشعبية لدعم خيار المقاومة، والوقوف ضد السياسات الأمريكية المؤيدة للكيان الصهيوني، ومواجهة الاستيطان؛ والتهويد ، والعمل على إحياء المقاطعة العربية والدولية للكيان الصهيوني والمؤسسات والشركات والدول الداعمة، وتصعيد مناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني حيثما وجد في الوطن العربي والعمل على تجريم التطبيع قانونياً.

ISSN : 2410-1818

5. إدانة المؤتمر القومي الإسلامي , واستنكاره للمؤامرات الأمريكية , والصهيونية الهادفة إلى الاستعمار والاستيطان , وشق الصف العربي الإسلامي عن طريق بث روح الفرقة بين أبناء العروبة والإسلام وترويج الفتن الطائفية والمذهبية , وترشيح إيران للعداء العربي لتحل بديلاً عن العداء للكيان الصهيوني ([80]) .

وفي السياق ذاته عقد التجمع الوطني لدعم خيار المقاومة في مؤتمره الثاني في العاصمة اللبنانية بيروت، وخرج بالتوصيات الآتية

1. التأكيد على نشر ثقافة المقاومة توأم الثقافة الوطنية، وتمهيد السبيل لدعمها في مواجهة المشروع الصهيوني.

2. دعم أشكال المقاومة المختلفة للمشروع الصهيوني واجب وطني وديني يهدف إلى استرجاع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني واللبناني والسوري.

3. المقاومة والإرهاب نقيضان لا يلتقيان إلاّ في قاموس الإمبريالية الأمريكية المهيمنة والصهيونية الاستيطانية المتوحشة.

4. الصراع العربي الصهيوني صراع وجود بلا حدود , ينبغي أن تتطور أشكال مقاومته تبعاً لتطور أشكاله وآلاته المستقبلية فلسطينياً وعربياً وإقليميا ودولياً وإنسانيا , وعدم السكوت على جرائمه الدولية ؛ ومقاضاته في المحاكم الدولية على هذه الجرائم ([81]).

المحور الخامس: الممانعة الإنسانية العالمية

5/1: الدور الأممي والإنساني

مع أن التصدي للمشروع الصهيوني هو واجب العرب والمسلمين باعتبارهم أكثر الأمم، والشعوب تضرراً منه. إلاّ أن الطبيعة الاستعمارية الصهيونية التوسعية الإرهابية الهمجية العدوانية التي يمارس خلالها الكيان الصهيوني أسلوب الاستعمار الاستيطاني القائم على التهجير والتشريد , والإبادة الجماعية لأبناء الأرض الفلسطينية ؛ وإحلال المستوطنين الصهاينة بدلاً عنهم عن طريق الحروب الوحشية , والغارات الانتقامية , والهجمات الإرهابية ضد السكان الآمنين لترويعهم ؛ وإجبارهم على ترك منازلهم وأرضهم([82]) .

كما أن العقلية الصهيونية التآمرية ضد الشعوب الأخرى (الأغيار أو الغوييم من وجهة النظر الصهيونية) قد جعلت الشعوب جميعها في أنحاء العالم تتخذ المواقف المؤيدة للقضية الفلسطينية،

---

[80] ـ كابي ألخوري، يوميات عربية، المستقبل العربي، العدد (378)، مايو , 2011م، ص214ـ216.وينظر: المستقبل العربي، العدد (442)، يناير 2016م، ص185.

[81] . المستقبل العربي، العدد (374)، مارس , 2010م، ص199. 200.

[82] . ينظر: غازي حسين، المشروع اليهودي الاستيطاني في فلسطين، مرجع سابق، ص63.61.

ISSN : 2410-1818

والمناهضة للصهيونية العالمية والكيان الصهيوني، وهذه المواقف لا يحكمها الصراع العربي الصهيوني لا من قريب، ولا من بعيد ، وإنما تحكمها جملة من العوامل أهمها:

أ- الترابط الوثيق بين الصهيونية , والاستعمار فالاستعمار يسعى إلى السيطرة على الشعوب , ونهب خيراتها , والسيطرة على منابع الثروات العالمية عبر التاريخ فأينما ترى التاجر والمرابي والصيرفي اليهودي ترى الاستعمار، فكلاهما هدفه الربح الاقتصادي والنفوذ السياسي , ويستخدمان نفس الأساليب والوسائل في إخضاع البلدان التي يحتلانها الذرائع , والتهديد , والعنف المباشر , والإرهاب العسكري (إرهاب الدولة) ؛ وأخيراً الحروب الشاملة ([83]).

ب - الترابط الوثيق بين الصهيونية والرأسمالية الإمبريالية, فقد نشأت الحركة الصهيونية العالمية في أحضان التحولات الرأسمالية الإمبريالية كحركة أوروبية استعلائية ظهرت جزئياً كردة فعل على فشل الدول الأوروبية في استيعاب مواطنيها من اليهود ([84]).

ج- استغلال الحركة الصهيونية العالمية ليهود العالم، واختلاق الروايات المضللة لهم بهدف تهجيرهم إلى فلسطين لغرض الاستيطان، والتآمر عليهم مع النازية بغية دفعهم للهجرة إلى فلسطين.

ويتلخص **الدور الأممي والإنساني في مواجهة المشروع الصهيوني** في المظاهر الآتية:

1. الانتقادات اللاذعة للموقف البريطاني الداعم للصهاينة منذ نشأة الحركة الصهيونية العالمية في مؤتمر بازل 1897م من قبل الكثير من المثقفين البريطانيين، والأوروبيين، وغيرهم فهذا المؤرخ الإنجليزي أرنو لد توينبي يعلن أنه كإنجليزي يشعر بالخجل، والندم الشديدين على ازدواجية المعايير الأخلاقية التي حكمت سلوك حكومة بلاده في الإقدام على وعد بلفور، ومساندة الصهاينة على الاستيطان في فلسطين، وإقامة دولتهم عام 1948م ([85]) .

2- موقف المفكرين اليهود أنفسهم من الصهيونية , وتعريتهم لها أمثال المفكر الفرنسي المسلم من أصل يهودي رجاء جارودي من خلال مؤلفاته التي أبرزت الوجه القبيح للصهيونية والإمبريالية، وكذلك المفكر اليهودي آرثر كستلر في فضحه للروايات والأساطير الصهيونية الهادفة التي تدعي النقاء العرقي للعنصر السامي اليهودي، وتدعي التاريخ اليهودي الواحد لجميع اليهود ، والصهاينة الصهيونية حركة غربية استعمارية استيطانية احتلالية ([86]) لا تمت إلى السامية بصلة، وليس لها أي علاقة بالشرق، والشعوب السامية يقول كستلر: إن غالبية اليهود المعاصرين ليسوا من أصل أسيوي؛ أي أنهم ليسوا من

---

[83] . عبد الوهاب المسيري، الأديولوجيا الصهيونية، ج1 , عالم المعرفة، العدد (61)، الكويت , 1982م، ص121.122.

[84] . ينظر: أنطوان شلحت، الصيرورة الراهنة للمشروع الصهيوني، المؤتمر الفلسطيني الأول، ص92.

[85] . ينظر: عبد الله سليم، القدس التسمية والتاريخ والتراث، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة , 2009م، ص81.

[86] . بشير بشير، النظرية السياسية حول فلسطين، المؤتمر الفلسطيني الأول، ص208.

ISSN : 2410-1818

أسباط القبائل الأثني عشر من نسل يعقوب الذي ورد ذكرهم في التوراة اليهودية. بل أنهم ينحدرون من الخزر القبيلة الثالثة عشر الذين انتشرت ذريتهم في الكثير من دول شرق أوروبا وبولندا، والمجر، وروسيا، وهذا يعني أنهم لم يجيئوا من فلسطين، وإنما جاءوا من جبال القوقاز فإن معاداة السامية ليس له معنى في ظل هذه الحقيقة ... وإذا كان بنو إسرائيل هم شعب الله المختار ـ كما يدعون ـ فمن الاختيار على سبيل تبليغ الرسالة وليس التمييز، فقد كان هذا حين كانت رسالة الأنبياء إليهم وحدهم وحين عمت الرسالة انسحب الاختيار" ([87]).

3- فضح الروايات الصهيونية حول محارق الهيلوكوست حيث صدرت العديد من الدراسات والكتب في الخمسينيات، وقد سماها أرثر باتس، وهنري روكيه، أكذوبة الصهيونية في القرن العشرين، وأنكرها المؤرخ البريطاني ديفد أرفينج ([88]).

4. مواقف الشخصيات السياسية، ورؤساء الدول في أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية المؤيدة للشعب الفلسطيني، والمناهضة للكيان الصهيوني في مختلف المحافل الدولية، ومن هذه الشخصيات السياسية نيلسون منديلا رئيس جنوب أفريقيا، ونكروما، والرئيس الكوبي فيدل كاسترو، والرئيس الفنزويلي هوجو شافيز، والرئيس النيكاراجوي دانيال أرب أورتيجا.

5- المظاهرات المؤيدة للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في مختلف أنحاء العالم، والتي تدين الكيان الصهيوني على جرائمه بحق الشعب الفلسطيني، وتنظم الفعاليات الإنسانية لدعم الشعب الفلسطيني، وآخرها سفينة السلام إلى غزة.

6. المواقف اليهودية الرافضة لوجود الكيان الصهيوني من قبل اليهودية الحاخامية الارثوذكسية، وحركة ناتوري كاراتا (الاسم الأرامي لحراس المدينة)، وهي حركة مناهضة للصهيونية، والكيان الصهيوني، وترى أن دولته دولةٌ غير شرعية مخالفة لتعاليم التوراة؛ وترى فيها خروجاً عن التعاليم التوراتية بشأن الخلاص الإلهي، والأساطير الصهيونية التي تروجها بشأن فلسطين ([89]).

7. قدم العرب والشعب الفلسطيني التضحيات الجسام في سبيل فلسطين الأرض والإنسان والمقدسات منذ القرن التاسع عشر، ولا يزالون يقدمون، وسيقدمون الغالي والنفيس في سبيل نصرة القضية الفلسطينية وإعادة الأرض المغتصبة والقضاء على الكيان الصهيوني الغاصب.

8. تطوير وتنويع أشكال النضال والمقاومة الشعبية المتنوعة على جميع المستويات، والصعد السياسية، والفدائية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية الثقافية، وممارسة أشكال من المقاومة تتناسب مع كل تجمع فلسطيني عربي إسلامي يعكس الاحتياجات المباشرة واللازمة لمواجهة المشروع الصهيوني

---

[87] . ينظر: آرثر كستلر، القبيلة الثالثة عشرة، ترجمة أحمد هشام، الهيئة العامة للكتاب المصري، القاهرة , 1991م، ص29.

[88] . يونس هاشم، الأساطير الصهيونية، ص334333.

[89] . رشاد الشامي، القوى الدينية في إسرائيل، عالم المعرفة، العدد (186)، الكويت، يوليو 1994م، ص252.

ISSN : 2410-1818

أينما كان ؛ وأينما وجد ذلك المشروع بحيث تشمل المشاريع القائمة الآن المشروع الوطني، والمشروع القومي الوحدوي العربي، والمشروع الإسلامي، والمشروع ألأممي الإنساني، والمشروع التحرري العالمي، وتؤلف بينها خدمةً للنضال ضد المشروع الصهيوني العالمي ([90]).

9. سيظل لصراع العربي الإسرائيلي مستعراً طالما هنالك كيان غاصب، ويعمل على تغيير البُنى الجغرافية والديمغرافية، والسياسية، والفكرية ليس فقط للفلسطينيين. بل للعالم العربي والإسلامي كله، ولن يتوقف هذا الصراع إلى حين يحقق أهدافه بالقضاء على الكيان الصهيوني عملاً لا قولاً فقط فهل وصلنا إلى حالة الندية التي تمكننا من ذلك؟ وكيف؟

خاتمة:

- الهوية الوطنية الفلسطينية تشكلت وفق ثلاثة مكونات متنامية هي الوطني والفلسطيني والعربي والإسلامي فهي حاضرة في النسيج الاجتماعي والثقافي الفلسطيني وتعمل عملها وتتجلى بشتى الصور، فمن يتصور أنه قادرٌ على بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية بمعزل عن المكون الآخر فإن سعيه حتماً سيكون محكوماً بالفشل مقدماً.

- يقع على الدراسات النظرية والميدانية الفلسطينية والعربية إعادة تقديم الهوية الوطنية الفلسطينية وفق فضاء ثلاثي الأبعاد، الأول الوطني الذي يتصور الهوية الوطنية الفلسطينية ككل متكامل في جانبه الجغرافي والسياسي والاجتماعي، ولا يفصل بين المواطن الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 48 19م، ولا في الضفة ولا في قطاع غزة، ولا المواطنين الذين هجروا قسراً نتيجة الاحتلال الصهيوني، الذين تسميهم بعض الدراسات الشتات على سبيل الماثلة مع اليهود، فالمماثلة منعدمة وتصب في مصلحة الاحتلال الصهيوني، ويجزئ الهوية الفلسطينية أكثر مما هي مجزأة.

- تراجع الفضاء العربي والإسلامي عن دعم الهوية الفلسطينية على حساب تزايد فرص الكيان الصهيوني التطبيعية مع العديد من الأنظمة العربية في ظل الأزمات المتلاحقة للأنظمة العربية ذات التوجه الوطني العربي القومي.

- لن يتوقف الكيان الصهيوني عن سلب مقومات الهوية الوطنية الفلسطينية وتهويد فلسطين ما لم يجد مقاومة فلسطينية شاملة.

- أظهرت الدراسة أن التعدد الثقافي في مكونات الهوية الوطنية الفلسطينية لعب دوراً بارزاً في ثباتها والحفاظ عليها.

[90] . ينظر: عزمي الشعيبي، البرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطيني وأليات تنفيذه، المؤتمر الفلسطيني الأول، ص45،40.

ISSN : 2410-1818

التوصيات:

الهوية الفلسطينية لا زالت بحاجة إلى المزيد والمزيد من الدراسات والبحوث التي توصي بها هذه الدراسة وأهمها:

1- رأب الصدع الفلسطيني وإنهاء حالة الانقسام والصراعات البينية بين فصائل العمل الفلسطيني لتكوين هوية واحدة يمتزج خلالها القومي العربي بالديني الإسلامي، والإنساني الحضاري.

2- توسيع نشاط دوائر المقاطعة العربية والإسلامية والإنسانية للكيان الصهيوني في جميع المجالات بإنشاء دوائر داخلية وخارجية تتبنى تفعيل نشاط المقاطعة بكل جوانبه.

3- وقف ثقافة التطبيع في المحيطين الفلسطيني والعربي والإسلامي لما لذلك من أثر سلبي على نمو وتطور الهوية الوطنية الفلسطينية.

4- النظام الدولي الجديد وموقفه من الهوية الوطنية الفلسطينية والنظرة المستقبلية لها في ضوء التوسع الاستيطاني في الأراضي المحتلة.

5- تعزيز ثقافة المقاومة ومد جسور التواصل مع القوى الإقليمية والدولية التي تدعم حق الشعوب في التحرر من الاستعمار والاستيطان وتقرير مصيرها بنفسها وإقامة دولتها المستقلة على كامل التراب الفلسطيني لفلسطين التاريخية من البحر إلى النهر.